قادة فتح إقليم فارس

١ ـ العلاء بن الحضرميِّ رضي الله عنه:

«فاتح البحرين، وجزيرة دارين، وأول من هاجم فارس».

٢ ـ سارية بن زُنَيْم الكناني رضي الله عنه:

«فاتح فسا ودارابجرد».

٣ ـ عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه:

«فاتح أرمينية الرابعة، وجزيرة بركاوان، وبلاد فارس، وأول من هاجم السند».

٤ ـ الحكم بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه:

«فاتح جزيرة بركاوان، وتوج، وفاتح إصطخر ثانية».

٥ ـ مجاشع بن مسعود السلمي رضي الله عنه:

«فاتح لواء أردشيرخرة، وسابور، وفاتح كرمان ثانية».

* * *

(٣٩٢) السيد الوَلِيُّ .. والصحابي التقي .. صاحب الكرامات .. مجاب الدعوات .. القائد الفاتح .. العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه فاتح البحرين، وجزيرة دارين، وأوَّل من هاجم فارس

هو الصحابي المبارك العلاء بن عبداللَّه بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عويف الحضرمي[١]، كان من حلفاء بني أمية، ومن سادة المهاجرين رضي الله عنه[٢].

وكان عبداللَّه الحضرمي أبوه قد سكن مكة، وحالف حرب بن أمية والد أبي سفيان.

وهو أخو عَمْرِو بن الحضرمي، وعامر بن الحضرمي، وميمون بن الحضرمي، وشُرَيح بن الحضرمي، والصَّعبة بنت الحضرمي. وقيل: إنهم كانوا إخوة أحد عشر.

وعمرو بن الحضرمي قُتِلَ يوم بدر كافرًا، وكان ماله أول مال خُمِّسَ في الإسلام، وكان قُتِلَ يوم نَخْلة.

وعامر بن الحضرمي قُتِلَ يوم بدر كافرًا، وهو الذي صرخ: (واعمراه)؛ يريد: أخاه، وكان ذلك مما هاج الحرب يومئذٍ.

وميمون بن الحَضْرمي هو صاحب بئر ميمون التي بأعلى مكة، احْتَفَرَهَا في الجاهلية.

---

(١) وفي تهذيب الكمال: العلاء بن عبدالله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عويف بن مالك بن الخزرج بن إياد بن الصَّدف بن زيد بن مقنع بن حضرموت. من قحطان. . . انظر تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٨٣)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٢).

(٢) الإصابة: (٤/ ٤٤٥) ت (٥٦٥٨)، وأسد الغابة ت (٣٧٤٥)، والاستيعاب ت(١٨٦٠).

وشُرَيْح بن الحضرمي هو الذي ذُكِرَ عند النبي ﷺ فقال: «**ذَاكَ رَجُلٌ لَا يَتَوَسَّدُ الْقُرْآنَ**». رواه أحمد

والصَّعْبة بنت الحضرمي هي أم طلحة بن عبيدالله، أحد العشرة المبشرين بالجنة، تزوجها أبو سفيان ثم طلقها، فتزوجها عُبيداللَّه بن عثمان التيمي؛ فولدت له طلحة - رضي اللَّه عنهما -.

- **إسلامه:**

أسلم العلاء قبل فتح مكة، فشهد مع النبي ﷺ فتح مكة ويوم حُنين. وقد بعثه الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين منصرفه من الْجِعِرَّانَةِ[1]؛ فأسلم المنذر وَحَسُنَ إسلامه[2]. وقد استعمل النبي ﷺ العلاء على البحرين؛ فحمل إلى رسول اللَّه ﷺ مئة وثمانين ألف درهم من مال البحرين[3]، لقد كان العلاء موضع ثقة النبي ﷺ، ونال رضي الله عنه شرف الصحبة والجهاد مع رسول اللَّه ﷺ، واستعمل النبي ﷺ العلاء على البحرين، وأقره أبو بكر، ثم عمر.

قال الحافظ المزي: «**يُقال: إنه كان مجاب الدعوة، وله مناقب وفضائل شريفة** رضي الله عنه»[4].

❑ جهاده:

- **جهاده للمرتدين في البحرين:**

لما مات النبي ﷺ، مات بعده بقليل المنذر بن ساوى ملك البحرين، وارتدت البحرين، وثبت الجارود بن الْمُعَلَّى العبدي، ومعه عبد القيس، ثبتوا على إسلامهم. وحاصر المرتدون المسلمين بـ«**جُواثا**»[5]، فاشتد الحصار على من بها، فقال

---

(١) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة. (٢) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٥).

(٣) انظر أسد الغابة، والبدء والتاريخ (٥ / ١٠٢).

(٤) تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٨٥).

(٥) جُواثا: حصن لعبد القيس بالبحرين، وهو أول موضع جُمعت فيه الجمعة بعد المدينة.

عبدالله بن حذف ـ وَقَدْ قَتَلَهُمْ الْجُوعُ ـ:

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ رَسُولًا وَفِتْيَانَ الْمَدِينَةِ أَجْمَعِينَا
فَهَلْ لَكُمُ إِلَى قَوْمٍ كِرَامٍ قُعُودٍ فِي جُؤَاثَا مُحْصَرِينَا
كَأَنَّ دِمَاءَهُمُ فِي كُلِّ فَجٍّ شُعَاعُ الشَّمْسِ تَغْشَى النَّاظِرِينَا
تَوَكَّلْنَا عَلَى الرَّحْمَنِ إِنَّا وَجَدْنَا النَّصْرَ لِلْمُتَوَكِّلِينَا

فدعا الصدِّيق أبو بكرٍ العلاءَ بن الحضرمي فقال: إني وجدتك من عُمَّال رسول الله ﷺ الذين وَلَّى، فرأيتُ أن أُوَلِّيَكَ ما كان رسول الله ﷺ وَلَّاكَ، فعليك بتقوى الله. فخرج العلاء بن الحضرمي من المدينة في ستة عشر راكبًا، معه فرات بن حيَّان العجلي دَلِيلًا، وكتب أبو بكر كتابًا للعلاء بن الحضرمي أن ينفر معه كل من مَرَّ به من المسلمين إلى عدوِّهم، فسار العلاء في من تبعه منهم حتى نزل حصن «**جواثا**»، فقاتلهم، فلم يفلت منهم أحد، ثم أتى «**القطيف**»، وبها جَمْعٌ من العجم فقاتلهم، فأصاب منهم طرفًا، وانهزموا؛ فانضمت الأعاجم إلى «**الزارة**»، فأتاهم العلاء، فنزل الخط على ساحل البحر، فقاتلهم وحاصرهم إلى أن توفي أبو بكر رضي الله عنه وولي عمر بن الخطاب، فطلب أهل «**الزارة**» الصلح، فصالحهم العلاء.

ثم عَبَرَ العلاء إلى أهل دارين فقاتلهم، فقتل المقاتلة، وحوى الذراري.

وبعث العلاء عرفجة بن هرثمة إلى أسياف[1] فارس، فقطع في السفن، فكان أول من فتح جزيرةٍ بأرض فارس، واتخذ فيها مسجدًا، وأغار على «**باريخان**» و«**الأسياف**»، وذلك في سنة (١٤ هـ)[2].

- **تفصيل الصبر الجميل لابن الحضرمي النبيل ومَن معه من المسلمين:**

بعث أبو بكر الصديق العلاء بن الحضرمي على قتال أهل الردة بالبحرين، فلما كان بِحِيَالِ اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفي في مُسْلِمَةِ بني حنيفة، ولحق به

(١) أسياف: جمع سيف، وهو ساحل البحر.
(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٦٧).

أيضًا قيس بن عاصم المنقري، وأعطاه بدل ما كان قسم من الصدقة بعد موت النبي ﷺ وانضم إليه عمرو والأبناء، وسعد بن تميم، والرباب أيضًا لحقته في مثل عُدَّتِهِ، فسلك بهم الدهناء [وهي صحراء مخوفة خالية من الماء والمرعى، فلاقى العلاء ورجاله مشقات كثيرة عند قطعها، حتى أصبحت حياتهم في خطر عظيم][(١)].

لما سلك العلاء بأصحابه الدهناء حتى كانوا في بحبوحتها، نزل وأمر الناس بالنزول في الليل، فنفرت إبلهم بأحمالها، فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء، فلحقهم من الغم ما لا يعلمه إلا الله، ووصى بعضهم بعضًا، فدعاهم العلاء، فاجتمعوا إليه.

فقال: ما هذا الذي غلب عليكم من الغمِّ؟

فقالوا: كيف نُلَامُ ونحن إن بلغنا غدًا لم تَحُمِ الشمس حتى نهلك؟!

فقال: لن تُرَاعُوا؛ أنتم المسلمون، وفي سبيل الله، وأنصار الله، فأبشروا؛ فوالله لن تُخْذَلُوا.

فلما صلوا الصبح دعا العلاء ودعوا معه، فلمح لهم الماء، فمشوا إليه وشربوا واغتسلوا، فما تَعَالَى النهارُ حتى أقبلت الإبل تجمع من كل وجه، فأناخت إليهم فسقوها، وكان أبو هريرة فيهم، فلما ساروا عن ذلك المكان قال لمنجاب بن راشد: كيف عِلمك بموضع الماء؟

قال: عارفٌ به.

فقال له: كن معي حتى تقيمني عليه.

قال: فرجعتُ به إلى ذلك المكان فلم نجد إلا غدير الماء.

فقلت له: والله لولا الغدير لأخبرتك أن هذا هو المكان، وما رأيت بهذا المكان

---

(١) الطبري (٢/ ٥١٩) ولكن العلاء وصحبه تحمّلوا تلك المشقات بإيمان وصبر عجيبيْن.

ماءً قبل اليوم، وإذا إداوة مملوءة ماءً؛ فقال أبو هريرة: هذا واللَّه المكان، وما رأيت؛ ولهذا رجعت بك، وملأت إداوتي، ثم وضعتها على شفير الغدير، وقلت: إن كان هذا من المنِّ عرفته، وإن كان عينًا عرفته، فإذا مَنٌّ مِنَ المَنِّ، فحمد الله، ثم ساروا فنزلوا بِهَجَر، وأرسل العلاء إلى الجارود يأمره أن ينزل بعبد القيس على الحطم مما يليه، وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه مما يلي هجر فاجتمع المشركون كلهم إلى الحطم إلا أهل دارين، واجتمع المسلمون إلى العلاء، وَخَنْدَقَ المسلمون على أنفسهم والمشركون، وكانوا يَتَرَاوَحُونَ القتال، ويرجعون إلى خندقهم، فكانوا كذلك شهرًا، فبينا هم كذلك إذْ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء هزيمة أو قتال، فقال العلاء: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال عبداللَّه بن حذف: أنا. فخرج حتى دَنَا من خندقهم فأخذوه، وكانت أمه عجلية، فجعل ينادي: يا أبجراه. فجاء أبجر بن بجير فعرفه فقال: ما شأنك؟ فقال: عَلَامَ أُقْتَلُ وحولي عساكر مِن عِجل وتَيِّم اللات وغيرها؟ فَخَلَّصَهُ، فقال له: والله، إني لأظنك بئس ابن أخت أتيت - واللَّه - أخوالك.

فقال: دعني من هذا وأطعمني، فقدمتُ جوعًا. فَقَرَّبَ له طعامًا فأكل، ثم قال: زَوِّدْنِي واحملني. يقول: هذا لرجل قد غلب عليه السُّكْر، فحمله على بعير وزوَّده وجوَّزه، فدخل عسكر المسلمين، فأخبرهم أنَّ القوم سكارى، فخرج المسلمون عليهم، فوضعوا فيهم السيف كيف شاءوا، وهرب الكفار فَمِنْ بين مُتَرَدٍّ، وَنَاجٍ، ومقتول، ومأسور، واستولى المسلمون على العسكر، ولم يفلت رجل إلا بما عليه، فأما أبجر فأفلت، وأما الحطم فَقُتِلَ؛ قتله قيس بن عاصم بعد أن قطع عفيف بن المنذر التميمي رجله، وطلبهم المسلمون، فأسر عفيف بن المنذر بن النعمان بن المنذر الغرور فأسلم، وأصبح العلاء فَقَسَّمَ الأنفال، وَنفَّل رجالًا من أهل البلاء ثيابًا، فأعطى ثمامة بن أثال الحنفي خميصة ذات أعلام كانت للحطم يباهي بها، فلما رجع ثمامة بعد فتح دارين رآها بنو قيس بن ثعلبة فقالوا له: أنت قتلت الحطم.

فقال: لم أقتله، ولكني اشتريتها من المغنم، فوثبوا عليه، فقتلوه.

وقصد عظم الفلال إلى «**دارين**»[١]، فركبوا إليها السفن، ولحق الباقون ببلاد قومهم، فكتب العلاء إلى من ثبت على إسلامه من بكر بن وائل، منهم عتيبة بن النهاس، والمثنى بن حارثة، وغيرهما، يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدين بكل طريق، ففعلوا وجاءت رسلهم إلى العلاء بذلك، فأمر أن يؤتى من وراء ظهره، فندب حينئذٍ الناس إلى دارين، وقال لهم: قد أراكم اللَّه من آياته في الْبَرِّ لتعتبروا بها في البحر، فانهضوا إلى عدوكم، واستعرضوا البحر.

وارتحل وارتحلوا حتى اقتحم البحر على الخيل والإبل والحمير وغير ذلك، وفيهم الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم: «**يا أرحم الراحمين، يا كريم، يا حليم، يا أحد، يا صمد، يا حيُّ، يا محيي الموتى، يا حي، يا قيوم، لا إله إلا أنت، يا ربنا**».

فاجتازوا ذلك الخليج بإذن اللَّه يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وبين الساحل ودارين يوم وليلة بسفن البحر، فالتقوا واقتتلوا قتالًا شديدًا؛ فظفر المسلمون، وانهزم المشركون، وَأَكْثَرَ المسلمون القتلَ فيهم فما تركوا بها مخبرًا، وغنموا وسبوا، فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا، وضرب الإسلام فيها بجرانه، وكتب العلاء إلى أبي بكر يعرِّفه هزيمة المرتدين، وقتل الحطم، وكان مع المسلمين راهب من أهل هجر فأسلم؟ قال: ثلاثة أشياء: خشيتُ أن يمسخني بعدها: فيض في الرمال، وتمهيد أثباج[٢] البحر، ودعاء سمعتُه في عسكرهم في الهواء سحرًا: اللهم أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع فليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، الحي الذي لا يموت، وخالق ما يرى وما لا يرى، وكل يوم أنت في شأن، علمت كل شيء بغير تعلُّم»؛ فعلمت أن القوم لم يُعَانُوا بالملائكة إلا وهم على حق. فكان أصحاب النبي ﷺ يسمعون هذا منه بعد»[٣].

---

(١) دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند. والنسبة إليها: داريّ.

(٢) ثبج: وسطه ومعظمه. (٣) «الكامل»: (٢/ ٢٢٥ - ٢٢٨).

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/٤٧٧ ـ ٤٧٩)[1]: «قد كان العلاءُ من ساداتِ الصحابة العلماء العُبَّاد مُجَابي الدعوة، اتَّفق له في هذه الغزوة أنه نزل مَنْزِلًا، فلم يستقرَّ الناسُ على الأرض حتى نَفَرتِ الإبلُ بما عليها من زَادِ الجيش وخيامهم وشَرابِهم، وبقوا على الأرض ليس معهم شيءٌ، سِوَى ثيابهم ـ وذلك ليلًا ـ، ولم يقدروا منها على بعيرٍ واحدٍ، فركِب الناسَ من الهَمِّ والغَمِّ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَف، وجعل بعضُهُم يُوصي إلى بعضٍ، فنادى مُنادي العلاء، فاجتمعَ الناسُ إليه، فقال: أيُّهَا الناسُ، ألستم المسلمين؟! ألستمْ في سبيل الله؟! ألستم أنصارَ الله؟! قالوا: بلى. قال: فأبشِروا؛ فواللهِ لا يَخذلُ اللهُ مَن كان في مِثْلِ حالكم. ونُودي بصلاة الصبح حين طلع الفجر، فصلَّى بالناس، فلمَّا قضَى الصلاة جَثَا على ركبتَيْه وجثا الناسُ، ونَصَبَ في الدعاء ورفع يَدَيْهِ، وفعل الناس مثلَهُ، حتى طلعتِ الشمس، وجعل الناسُ ينظرون إلى سراب الشمس يَلْمَعُ مرةً بعد أخرى، وهو يجتهد في الدعاء، فَلَمَّا بلغ الثالثةَ إذا قد خَلَقَ اللّٰه إلى جانبهم غديرًا عظيمًا من الماء القَرَاح، فمشى ومشى الناسُ إليه، فشربوا واغتسلوا، فَمَا تَعَالَى النهارُ حتى أقبلتِ الإبل من كلِّ فجٍّ بما عليها، لم يفقدِ الناسُ من أمتعتهم شيئًا، فسقوا الإبل عَلَلًا بعد نَهَلٍ، فكان هذا مِمَّا عَايَنَ الناسُ مِن آياتِ اللّٰه بهذه السَّرِيَّة، ثم لَمَّا اقترب من جيوش المرتَدَّةِ ـ وقد حشدُوا وجمعُوا خلقًا عظيمًا ـ نزلَ ونزلوا[2] وباتوا مُتجاورين في المنازل، فبينما المسلمون في الليل، إذْ سمِع العلاء أصواتًا عاليةً في جيش المرتدين، فقال: مَنْ رجلٌ يكشفُ لنا خبرَ هؤلاء؟ فقام عبداللّٰه بن حذفٍ، فدخل فيهم فوجدهم سُكَارى لا يعقلون من الشراب، فرجع إليه فأخبره، فركب العلاء مِن فوْرِهِ والجيشُ معه، فكبسوا أولئك فقتلوهم قتْلًا عظيمًا، وَقَلَّ مَن هرب منهم، واستولى على جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم، فكانت غنيمةً عظيمةً جسيمةً،

(١) طبعة دار عالم الكتب.
(٢) أيْ خندق على قواته، وخندق الكفارُ على أنفسهم، وفي حصارٍ استمرّ شهرًا.

وكان الحطم بن ضبيعة ـ أخو بني قيْسِ بن ثعلبة مِن سادات القوم ـ نائمًا، فقام دَهِشًا حين اقتحم المسلمون عليهم، فركب جوادَه، فانقطع رِكابُهُ فجعل يقول: مَن يصلحُ لي ركابي؟ فجاء رجلٌ من المسلمين في الليل، فقال: أنا أُصلحه لك، ارفع رِجْلَك. فلما رفعها ضربه بالسيف، فقطعها مع قدمه، فقال له: أجْهِزْ عَلَيَّ. فقال: لا أفعل. ثم ركب المسلمون في آثار المنهزمين، يقتلونهم بكلِّ مَرْصَدٍ وطريق، وذهب مَن فَرَّ منهم ـ أو أكثرهم ـ في البحر إلى «**دارين**»، ركبوا إليها السُّفنَ، ثم شرع العلاء في قَسْمِ الغنيمة وَنَقْلِ الأثقال، وَفَرَغَ مِن ذلك، وقال للمسلمين: اذهبوا بنا إلى «**دارين**»؛ لِنغزوَ مَن بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعًا، فسار بهم حتى أَتَى ساحلَ البحر لِيركبوا في السفن، فرأى أنَّ الشُّقةَ بعيدة، لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداءُ الله، فاقتحمَ البحرَ بفرسه وهو يقول: يا أرحمَ الراحمين، يا حكيمُ، يا كريمُ، يا أحَدُ، يا صَمَدُ، يا حيُّ، يا مُحيي، يا قيُّومُ، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت، يا رَبَّنَا.

وأمر الجيشَ أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا، فأجاز بهم الخليجَ ـ بِإِذْنِ اللَّهِ ـ يمشون على مِثْلِ رمْلٍ دَمِثَةٍ، فوقها ماءٌ، لا يَغمَرُ أخفافَ الإبل، ولا يصل إلى رُكَبِ الخيل، ومسيرته للسفن يومٌ وليلةٌ، فقطعه إلى الساحل الآخر، فقاتَل عَدوَّه وقهرهم، واحْتَازَ غنائمهم، ثم رجع فقطعه إلى الجانب الآخر، فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كلُّه في يومٍ، ولم يتركْ من العدوِّ مخْبرًا، واستاقَ الذراريَ والأنعامَ والأموالَ، ولم يفقدِ المسلمون في البحر شيئًا، سوى عليقة فرسٍ لرجلٍ من المسلمين، ومع هذا رجع العلاء فجاءه بها، ثم قسم غنائم المسلمين فيهم؛ فأصاب الفارسُ أَلْفَيْنِ، والراجلُ ألفًا، مع كثرة الجيش، وكتب إلى الصِّدِّيق فأعلمَه بذلك، فبعث الصديقُ يشكره على ما صنع، وقد قال رجلٌ من المسلمين في مرورهم في البحر ـ وهو عفيفُ بنُ المنذر ـ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَلَّلَ بَحْرَهُ ... وَأَنْزَلَ بِالْكُفَّارِ إِحْدَى الْجَلَائِلِ

دَعَوْنَا إِلَى شَقِّ الْبِحَارِ فَجَاءَنَا بِأَعْجَبَ مِنْ فَلْقِ الْبِحَارِ الْأَوَائِلِ

وذكَرَ الْعَلَّامَةُ ابنُ كثيرٍ جلائلَ معجزاتِ الأنبياء؛ فقال: «فمنها نجاةُ نوحٍ في السفينة بالمؤمنين، ولا شكَّ أنَّ حَمْلَ الماءِ للناس مِن غير سفينةٍ أعظمُ مِنَ السُّلوك عليه في السفينة، وقد مشى كثيرٌ من الأولياء على مَتْنِ الماء؛ وفي قِصَّةِ العلاء - صاحبِ رسول اللَّه ﷺ ما يدلُّ على ذلك: روى منجابُ؛ قال: غَزَوْنَا مع العلاء بن الحضرمي «دارين»، فَدَعَا بِثَلَاثِ دَعَوَاتٍ؛ فَاسْتُجِيبَتْ له، فنزلنا منزلًا فطلب الماءَ فلم يَجِدْهُ، فقام فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وقال: اللهمَّ إنا عَبِيدُكَ، وفي سبيلك نقاتل عَدُوَّكَ، اللهمَّ اسقِنَا غَيْثًا نتوضأ به ونشرب، ولا يكون لأحدٍ فيه نصيبٌ غيرنا. فسرنا قليلًا، فإذا نحنُ بماءٍ حين أَقْلَعَتِ السماء عنه، فتوضأنا منه وَتَزَوَّدْنَا، وملأتُ إداوتي وتركتها مكانها حتى أنظر: هل اسْتُجِيبَ له أم لا؟ فسرنا قليلًا ثم قلتُ لأصحابي: نسيتُ إداوتي. فرجعتُ إلى ذلك المكان، فكأنه لم يصبْه ماءٌ قطُّ، ثم سِرْنا حتى أَتَيْنَا «دارين»، والبحرُ بيننا وبينهم، فقال: يا عَلِيُّ، يا حكيم، إنا عبيدُك، وفي سبيلك نقاتل عدوَّك، اللهمَّ فَاجْعَلْ لنا إليهم سبيلًا. فدخلنا البحرَ فلم يبلغ الماء لُبُودَنَا، وَمَشَيْنَا على مَتْنِ الماء ولم يَبْتَلَّ لنا شيءٌ... وذكر بَقِيَّةَ القصة. فهذا أبلغُ من ركوب السفينة؛ فإنَّ حَمْلَ الماء للسفينة معتادٌ، وأبلغُ من فَلْقِ البحرِ لِمُوسى؛ فإن هناك انحسر الماءُ حتى مَشَوْا على الأرض، فَالْمُعْجِزُ: انحسارُ الماء، وهاهنا صار الماء جَسَدًا يمشون عليه كالأرض، وإنما هذا منسوبٌ إلى النبي ﷺ وَبَرَكَتِهِ. انتهى ما ذكره بحروفه فيما يتعلق بنوحٍ عليه السلام

وهذه القصة التي ساقها شيخنا، ذَكَرَهَا الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه «**الدلائل**»، مِنْ طريق أبي بكر بن أبي الدنيا، عن أبي كُريبٍ، عن محمد بن فُضيل، عن الصَّلت بن مَطر العَجَليِّ، عن عبدالملك ابن أخت سهمٍ، عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي... فذكره. وقد ذكرها البخاري في التاريخ الكبير من وجه آخر، وَرَوَاهَا البيقهي من طريق أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان مع

العلاء وشاهد ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما بعث النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، تَبِعْتُهُ؛ فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتهنَّ أعجب: انتهينا إلى شاطئ البحر فقال: سَمُّوا اللَّه واقتحموا. فسمَّينا واقتحمنا؛ فعبرنا، فما بَلَّ الماء إلا أسافل خِفَافِ إبلنا، فلما قفلنا صِرنا معه بفلاة بين الأرض وليس معنا ماء، فشكونا إليه، فصلى ركعتين، ثم دعا؛ فإذا سحابة مثل الترس، ثم أرخت عَزَاليها؛ فسقينا واستقينا، ومات فدفناه في الرمل، فلما سرنا غير بعيد قلنا: يجيء سبع فيأكله. فرجعنا فلم نره»[١].

وفي حديث أنس: ثم ذكر موت العلاء ودفنهم إيَّاه في أرضٍ لا تقبل الموتى، ثم إنهم حفروا عليه؛ لينقلوه منها إلى غيرها، فلم يجدوه ثَمَّ، وإذا اللحدُ يَتَلأْلأُ نورًا، فأعادوا الترابَ عليه ثم ارتحلوا.

لله دَرُّكَ مِن قائدٍ وَلِيٍّ!! يذلل اللَّه له البحرَ؛ كما ذَلَّلَهُ لنوح النبيِّ .. وَيُفَاجِئُ أهلَ الشرك السُّكَارى، وَيُبَيِّتُهُمْ بتكبيره قبل سيفه..

كَمْ أَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ رَايَاتٌ ... وَرُتِّلَتْ فِي رِحَابِ الْخَيْرِ آيَاتُ
وَكَانَ رَائِدُنَا يَحْدُو مَسِيرَتَنَا ... اللَّهُ غَايَتُنَا الرَّحْمَنُ لَا اللَّاتُ
وَدَوْلَةُ الْحَقِّ بِالْإِسْلَامِ تَحْكُمُنَا ... وَالْيَوْمَ تَحْكُمُنَا ظُلْمًا دُوَيْلَاتُ
تَقُودُ أُمَّتَنَا لِلْحَرْبِ غَانِيَةٌ ... وَالْجَيْشُ فِي الزَّحْفِ قَدْ أَلْهَتْهُ مَغْنَاةُ
وَكَمْ لَعُوبٍ تَهَاوَوْا عِنْدَ أَرْجُلِهَا ... كَمَا تَهَاوَتْ عَلَى نَارٍ فَرَاشَاتُ
الزِّقُّ وَالرِّقُّ وَالْمِزْمَارُ عُدَّتُنَا ... وَالْخَصْمُ عُدَّتُهُ عِلْمٌ وَآلَاتُ
وَشِرْعَةُ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ نَهْجُرُهَا ... وَشِرْعَةُ الْخَصْمِ تَلْمُودٌ وَتَوْرَاةُ
وَعُدَّةُ الْخَصْمِ صَارُوخٌ وَطَائِرَةٌ ... وَنَحْنُ عُدَّتُنَا الْكُبْرَى قَرَارَاتُ
سَفِينَةُ النَّاسِ ضَلَّتْ لَا شِرَاعَ لَهَا ... وَالشَّعْبُ حَارَ وَمَا لِلشَّعْبِ مَنْجَاةُ

(١) تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٨٥ - ٤٨٦).

وَجِيلُنَا ضَاعَ فِي تِيهٍ يُمَزِّقُهُ وَدَرْبُهُ ضَلَّ قَدْ دَكَّتْهُ مَأْسَاةُ
الْجَهْلُ وَالْفَقْرُ وَالطُّغْيَانُ يَسْحَقُهُ وَالْكَأْسُ وَالْجِنْسُ مَسْلَاةٌ وَمَلْهَاةُ
وَبَاطِنُ الشَّعْبِ آلَامٌ مُبَرِّحَةٌ وَظَاهِرُ الشَّعْبِ أَفْرَاحٌ وَزِينَاتُ
قَدَ هَدَّهُ الْجُوعُ وَانْهَارَتْ عَزَائِمُهُ وَقَادَةُ الشَّعْبِ بِالأَكْبَادِ تَقْتَاتُ
كَمْ بَدَّدُوا الْمَالَ هَدْرًا فِي مَبَاذِلِهِمْ وَفِي لَيَالِي الْخَنَا ضَاعَتْ مُرُوءَاتُ
فِي السِّلْمِ كَأْسٌ وَسِيجَارٌ وَغَانِيَةٌ وَسَاحَةُ الْحَرْبِ فِي الْهَيْجَا إِذَاعَاتُ
وَقَادَةُ الشَّعْبِ أَمْوَاتٌ بِلَا كَفَنٍ فَهَلْ يُحَرِّرُ أَرْضَ الْقُدْسِ أَمْوَاتُ
يَا سَوْأَةَ الْعُمْرِ فِي تَارِيخِ أُمَّتِنَا لَقَدْ بَدَتْ مِنْكُمْ لِلْعَيْنِ سَوْءَاتُ
مَنْ يَزْرَعِ الْيَوْمَ شَرًّا فَالْحَصَادُ غَدًا وَقُدْرَةُ اللَّهِ لِلطُّغْيَانِ مِذْرَاةُ(١)

- **غزو العلاء بلاد فارس من ناحية البحرين سنة (١٧هـ):**

كان العلاء بن الحضرمي يباري سعد بن أبي وقاص، فلما افتتح سعد القادسية، وأزاح كسرى عن داره، وأخذ حدود ما يلي السواد، وَاسْتَعْلَى، وجاء بأعظم مما جاء به العلاء من ناحية البحرين، فأحبَّ العلاء أن يفعل فعلًا في فارس نظير ما فعله سعد فيهم، فندب الناس إلى حربهم؛ فاستجاب له أهل بلاده، فَجَزَّأَهُمْ أجزاء؛ فَعَلَى فِرْقَةٍ الجارود بن المُعَلَّى، وعلى الأخرى السَّوَّارُ بن همَّام، وعلى الأخرى خُلَيد بن المنذر بن ساوى، وخليدٌ هو أمير الجماعة. فحملهم في البحر إلى فارس، وذلك بغير إذن عمر له في ذلك، وكان عمر يكره ذلك؛ لأنه لا رسول الله ﷺ ولا أبو بكر أَغْزَيَا فيه المسلمين، فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا من عند إصطخْر، فحالت فارس بينهم وبين سفنهم، فقام في الناس خُليْد بن المنذر، فقال: أيها الناس، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم، وأنتم إنما جئتم لمحاربتهم، فاستعينوا بالله وقاتلوهم، فإنما الأرض والسفن لمن غلب ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥].

---

(١) من قصيدة «باسم الشعب . . ولا يدري» من ديوان «في رحاب الأقصى» ليوسف العظم.

فأجابوه إلى ذلك فَصَلَّوْا الظهر، ثم ناهدوهم، فاقتتلوا قتالًا شديدًا في مكان من الأرض يُدْعى (طاوُس)، ثم أمر خليد المسلمين فَتَرَجَّلُوا، وقاتلوا فصبروا، ثم ظفروا، فقتلوا فارس مقتلة لم يُقتلوا قبلها مثلها، ثم خرجوا يريدون البصرة فغرقت بهم سفنهم، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلًا، ووجدوا (شَهْرَكَ) في أهل (إِصْطَخْر) قد أخذوا على المسلمين بالطرق، فعسكروا وامتنعوا من العدو.

ولما بلغ عمر ما صنع العلاء بن الحضرمي، اشتد غضبه عليه، وبعث إليه، فعزله، وتوعده، وأمره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الوجوه إليه؛ فقال: الْحَقْ بسعد بن أبي وقاص في من قبلك[١].

وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان: إن العلاء بن الحضرمي خرج بجيش فَأَقْطَعَهُمْ أهلُ فارس، وعصاني، وأظنه لم يرد الله بذلك، فخشيت عليهم أن لا ينصروا، أن يغلبوا وينشبوا[٢]، فاندب إليهم الناس، واضممهم إليك من قبل أن يُجْتَاحُوا. فندب عتبة المسلمين، وأخبرهم بكتاب عمر إليه في ذلك، فانتدب جماعة من الأمراء الأبطال؛ منهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعاصم بن عمرو، وعرفجة ابن هرثمة، وحذيفة بن محصن، والأحنف بن قيس، وغيرهم، في اثني عشر ألفًا، وعلى الجميع أبو سبرة بن أبي رُهْمٍ، فخرجوا على البغال يَجْنُبُونَ الخيل سراعًا، فساروا على الساحل لا يَلْقَوْنَ أحدًا، حتى انْتَهَوْا إلى موضع الوقعة التي كانت بين المسلمين من أصحاب العلاء وبين أهل فارس، بالمكان المسمَّى بـ(طاوس)، وإذا خُلَيْد بن المنذر ومن معه من المسلمين محصورون، قد أحاط بهم العدو من كل جانب، وقد تداعت عليهم تلك الأمم من كل وجه، وقد تكاملت أمداد المشركين،

---

(١) وفي الاستيعاب (١٠٨٦/٣): أن عمر ولّاه البصرة بعد وفاة عتبة بن غزوان فمات قبل أن يصل إليها، وأرجح هذه الرواية الأخيرة لأن عمر لم يكن ليبقيه في البحرين بعد ما فعل، فلا بد من عقابه على مخالفته الصريحة في ركوب البحر، ولكن هذا العقاب لم يكن ليصل إلى حدٍّ كسر عزة العلاء، فمن المعقول إذًا نقله من البحرين إلى ولاية أخرى قريبة من البحرين هي البصرة، فيكون عقابا مناسبا.

(٢) نشب في الشيء إذا وقع فيما لا مخلص له منه.

ولم يَبْقَ إلا القتال، فقدم المسلمون إليهم في أحوج ما هم فيه إليهم، فالتقوا مع المشركين رأسًا، فكسر أبو سبرة المشركين كسرة عظيمة، وقتل منهم مقتلة عظيمة جدًّا، وأخذ منهم أموالًا جزيلة باهرة، واستنقذ خليدًا ومن معه من المسلمين من أيديهم، وَأَعَزَّ اللَّه به الإسلام وأهله، ودمغ الشرك وَذَلَّهُ، ولله الحمد والمنة[1].

● **القائد:**

«لم يكن العلاء ﷺ مصيبًا في قراره الخاص بعبور البحر إلى فارس؛ لأن إطاعة الأوامر أساس من أقوى أسس الجندية في كل زمان ومكان.

ولستُ أشك بتاتًا في أن العلاء اجتهد فأخطأ، وأن نيته سليمة تتجه بكل طاقاتها لخدمة الإسلام والمسلمين، ومن طاقاتها سلوك طريق التنافس الشريف في الفتح؛ إِلَّا أن ذلك كله لا يبرر مطلقًا مخالفته للأوامر الصريحة الصادرة إليه من عمر بن الخطاب بعدم ركوب البحر.

ولكن هذه المخالفة بالذات تدل على حُبِّ العلاء للمسئولية وإقدامه على تحملها كاملة حتى تجاه قائد عام قوي غاية القوة مثل عمر بن الخطاب.

لقد كان العلاء ينافس سعدًا في ميدان الفتح، فأين ينافسه إذا لم يعبر البحر إلى فارس؟ إن العراق قد فتحه سعد فذهب بفخره وأجره، والبلاد العربية في جنوب البحرين تدين بالإسلام؛ فليس للعلاء مجال يظهر به جهاده وجهوده غير بلاد فارس، ولكن كان عليه أن يحصل على موافقة قائده الأعلى عمر بن الخطاب الذي كان أعرف بالظروف المناسبة لخوض المعركة في فارس، والذي كان يحرص على إعداد كافة متطلباتها المادية والمعنوية قبل الإقدام على خوضها، وبذلك يضمن لجيوشه النصر المبين.

لقد كان العلاء مِقدامًا شجاعًا ذا إرادة نافذة وشخصية قوية، يثق بقطعاته

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٥٤ ـ ٥٦) ـ دار عالم الكتب.

ويحبهم، ويثقون به ويحبونه، له ماض مشرف مجيد.

وكان في معاركه يطبق مبدأ (المباغتة) أهم مبادئ الحرب على الإطلاق: مباغتة بالمكان؛ كما فعل بعبور صحراء الدهناء؛ ليصل إلى البحرين بأسرع وقت ممكن من اتجاه لا يتوقعه المرتدون - بالرغم من أخطار عبور هذه الصحراء -، ومباغتة في الزمان؛ كما فعل في مهاجمة المرتدين من أهل البحرين في وقت لا يتوقعونه.

- **العلاء في التاريخ:**

يذكر التاريخ للعلاء سفارته بين النبي ﷺ وبين ملك البحرين المنذر بن ساوى، ونجاحه في سفارته؛ مما أدى إلى إسلام ملك البحرين وأهل البحرين.

ويذكر له انتصاراته الحاسمة على أهل الردة في البحرين على الرغم من رصانة قوتهم لاعتمادها على معاونة الفرس الذين ساعدوا المرتدين ماديًّا ومعنويًّا، وشجعوهم على الردة؛ وبذلك حرم الفرس من مَوْطِئِ قدم مُهِمٍّ لهم في الخليج العربي؛ يعتبر الخط الدفاعي الأمامي عن العراق وبلاد فارس.

ويذكر له أنه كان أول قائد مسلم بعث قائدًا مسلمًا في البحر للفتح؛ بإرساله عرفجة بن هرثمة البارقي بحرَ الفتح، بعض جزر الخليج العربي وبعض مناطق خوزستان؛ فعرف العرب السفن وركوب البحر، وكانوا لا يعرفون غير الإبل سفن الصحراء[1].

فرضي الله عن السيد الولي، الصحابي القائد، الفاتح مجاب الدعوات، العلاء بن الحضرمي.

* * *

---

(١) قادة فتح بلاد فارس ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٣٩٣) الصحابي القائد الفاتح
سارية بن زُنَيْم الكِناني
فاتح «فَسَا» و«دارابجرد»

هو الصحابي سارية بن زُنَيْم بن عمرو بن عبدالله بن جابر بن مَحْمِية بن عَبْد بن عَدِي بن الدُّئل بن عبد مناة بن كنانة الدُّؤَلي ـ ويُقال: الأسدي ـ أبو زنيم، وقال ابن حجر: «**سارية بن زُنَيْم بن عبدالله بن جابر، بدون ذكر عمرو**»(١).

قال ابن عساكر: له صحبة.

قال ابن حجر: «تقدم في ترجمة أسيد بن أبي إياس بن زنيم ما يُشْعِرُ أن له صحبةً».

قال العسكري: روى عن النبي ﷺ ولم يَلْقَهُ، وذكره ابن حبان في التابعين. وقد ذكر ابن حجر مرارًا أنه ما كانوا يُؤَمِّرُونَ إلا الصحابة، وقد تَوَلَّى قيادةَ جيشٍ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

ونسب مصعب الزبيري لسارية أنه القائل لأصدق بيت قالته العرب:

فَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا ... أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ(٢)

كان سارية رضي الله عنه خليعًا في الجاهلية ـ أي لِصًّا سريع العدو كثير الغارة ـ وكان أشد الناس حُضْرًا(٣) على رجليه، ثم أسلم فحسن إسلامه.

- **جهاده:**

لما أذن عمر رضي الله عنه للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس، بعث بألوية مَنْ ولى

(١) انظر أسد الغابة: (٢/ ٣٨٠) ت (١٨٨٦)، والإصابة (٣/ ٤) ت(٣٠٤١)، وتاريخ دمشق (٢٠/ ١٩) ت(٢٣٦٢).

(٢) ذكر ابن حجر أن هذه الأبيات لسارية، وأوردها في ترجمة أسيد أنها لأسيد، وذكرها لأنس بن زنيم في ترجمته.

(٣) الحُضْر: العَدْو.

مع سهيل بن عدي، فدفع لواء فَسَا، ودارابجرد إلى سارية بن زنيم الكناني[١].

وفي سنة (٢٣ هـ) قصد سارية بن زنيم فَسَا[٢] ودَارَابجرد[٣] حتى انتهى إلى عسكرهم، فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله، ثم إنهم اسْتَمَدُّوا فَتَجَمَّعُوا وَتَجَمَّعَتْ إليهم أكراد فارس؛ فدهم المسلمين أمر عظيم، وجمع كثير، ورأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعدوه في ساعة من النهار، فنادى من الغد: (الصلاة جامعة)، حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى، خرج إليهم، وكان أُرِيَهُمْ والمسلمون بصحراء إن أقاموا فيها أُحِيطَ بهم، وإن أرزوا إلى جبل من خلفهم لم يُؤْتَوْا إِلَّا من وجه واحد، ثم قام فقال: يأيها الناس: إني رأيت هَذَيْنِ الْجَمْعَيْنِ. وأخبر بحالهما، ثم قال: يا سارية، الجبل الجبل. ثم أقبل عليهم، وقال: إن لله جنودًا، ولعل بعضها أن يُبَلِّغَهُمْ. ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم، أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل ففعلوا، وقاتلوا القوم من وجه واحد؛ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد[٤].

وعن نافع مولى ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ، عن ابن عمر: «**أن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال على المنبر: (يا سارية بن زنيم!!)»، فلم يَدْرِ الناس ما يقول، حتى قدم سارية المدينة على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المؤمنين، كنا محاصري العدو، وكنا نقيم الأيام لا يخرج علينا منهم أحد، نحن في خفض من الأرض، وهم في حصن عَالٍ، فسمعتُ صائحًا ينادي بكذا وكذا، يا سارية بن زنيم، الجبل، فَعَلَوْتُ بأصحابي

---

(١) الكامل: ٢/ ٣٩٥.

(٢) فَسَا: كلمة أعجمية،وعندهم بَسَا، وكذا يتلفظون بها، ومعناها في كلامهم الشمال من الرياح،وهي أنزه مدينة بفارس، بينها وبين شيراز أربع مراحل، من أكبر مدن دارابجرد.

(٣) دارَابجرد: ولاية بفارس سُميت باسم مدينة بهذا الاسم وتحوي على مدن كثيرة.

(٤) انظر تاريخ الطبري: (٤/ ١٧٨)، والكامل (٢/ ٤٤١ ـ ٤٤٢)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٧٣)، وتاريخ دمشق (٢٠/ ٢٦).

الجبل، فما كان إلَّا ساعة حتى فتح اللَّه علينا»[١].

ولما فتحوا البلد وغنموا شيئًا كثيرًا، فكان من جملة ذلك سَفْطٌ من جوهر، فاستوهبه سارية من المسلمين لعمر، فلما وصل إليه مع الأخماس، قدم الرسول بِالْخُمُسِ، فوجد عمر قائمًا في يده عصا، وهو يطعم المسلمين سماطهم[٢]، فلما رآه عمر قال له: (اجلس)، ولم يعرفه، فجلس الرجل، فأكل مع الناس، فلما فرغوا انطلق عمر إلى منزله، وأتبعه الرجل، فاستأذن فَأُذِنَ له، وإذا هو قد وُضِعَ له خبز وزيت وملح، فقال: ادْن فَكُلْ. قال: فجلستُ، فجعل يقول لامرأته: ألا تخرجين يا هذه فتأكلين؟ قالت: إِنِّي لأَسْمَعُ حِسَّ رَجُلٍ. فقال: أجل. فقالت: لو أردتَ أن أبرز للرجال اشتريتَ لي غير هذه الكسوة. فقال: أَوَ ما ترضين أن يُقال: أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر؟ فقالت: مَا أَقَلَّ غناء ذلك عني. ثم قال للرجل: ادْن فَكُلْ، فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى. فأكلا حتى إذا فرغ قال: أنا رسول سارية بن زنيم. فقال: مرحبًا وأهلًا. ثم أدناه حتى مَسَّتْ ركبته ركبته، ثم سأله عن المسلمين، ثم سأله عن سارية بن زنيم، فأخبره، ثم ذكر له شأن السَّفَط من الجوهر؛ فصاح به، ثم قال: لا، ولا كرامة حتى تقدم على ذلك الجند فيقسمه بينهم. فطرده، فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد أنضيت إبلي، واستقرضتُ على جائزتي، فأعطني ما أَتَبَلَّغُ به. فما زال عنه حتى أبدله بعيرًا ببعيره من إبل الصَّدَقة، وأخذ بعيره فأدخله في إبل الصدقة، ورجع الرسول مغضوبًا عليه محرومًا حتى قدم

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة ١/ ٢٦٩، وابن الجوزي في مناقب عمر ص ١٧٢، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ص ٥٧٦. وإسناده حسن في إسناده محمد بن عجلان وهو صدوق. وقال ابن كثير عقب إيراده الخبر: «وهذا إسناد جيد حسن، وابن حجر الإصابة ٣/ ٥٣، وقال: «إسناده حسن» والسخاوي في «المقاصد الحسنة» ص ٤٧٤: وقال: «إسناده حسن كما ذكر شيخنا» وابن حجر الهيثمي في «الصواعق المحرقة» ص ١٠١ وحسن إسناده.

وهذه كرامة ثابتة لعمر بن الخطاب ﷺ انظر: «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» لابن عبرد الحنبلي (٢/ ٦٤٣ - ٦٤٤، ٦٤٩ - ٦٥٠).

(٢) سماطهم: ما يُمدُّ ليوضع عليه الطعام. . والمراد هنا: الطعام.

البصرة، فنفذ لأمر عمر، وقد سأله أهل المدينة عن سارية، وهل سمعوا شيئًا يوم الوقعة؟ فقال: نعم، سمعنا: يا سارية الجبل، وقد كدنا أن نهلك، فَأَلْجَأْنَا إليه؛ ففتح اللَّه - تَعَالَى - علينا[١].

قَالَ سَارِيَةُ:

لقد علمتُ وَعِلْمُ المرء ينفعه ... أن سوف يدركني يومي ومقداري
إن المنايا ستأتي غير جائزة ... على المؤجل في ضرٍّ وإعمارِ
أيقنت أني على «فَسَا» مقتدرًا ... إنْ شاء ربي وقضت شدة الدار
فغامستهم بها والخيل ساهمة ... دون المدينة في نقع وإعصارِ
ثم انكفأنا إلى حرز لنا جبل ... صلنا عليهم صوال الأشدق الضاري
ضجُّوا إلينا وعجُّوا بعدنا بسجر ... إن السيوف تباري كبَّة الساري
إنا قتلناهمُ من بعد قتلهم ... دارابجرد فنلنا بعد أوزار[٢]

قال خليفة بن خيَّاط: يُقَالُ: افتتح أصبهان ساريةُ بن زنيم صلحًا أو عَنْوَةً[٣]

- **سارية القائد:**

ليس من شك في أن قيادة سارية الحكيمة أنقذت قواته من فناء أكيد؛ فقد كانت قواته قليلة بالنسبة إلى سعة هدفه وكثرة قوات أعدائه.

ومما زاد في جسامة الأخطار المحيطة بجيشه أن خطوط مواصلاته كانت بعيدة للغاية عن قواعد المسلمين الأمامية في الكوفة والبصرة؛ فكان إمداده بالرجال يحتاج إلى وقت طويل؛ لذلك لم يكن أمامه إلا أن يشاغل عدوَّهُ حتى تحين له الفرصة المناسبة للاشتباك به في معركة فاصلة؛ فلما حانت تلك الفرصة، لَمْ يُضَيِّعْهَا سارية عبثًا، بل اهْتَبَلَهَا للقضاء على عدوه القوي العنيد.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤/ ١٧٨، ١٧٩، وتاريخ دمشق ٢٠/ ٢٦، ٢٧، والبداية والنهاية ١٠/ ١٧٣، ١٧٤.

(٢) تاريخ دمشق: ٢٠/ ٢٧ - ٢٨.

(٣) تاريخ خليفة ص ١٦١، حوادث سنة ٢٩ هـ، وتاريخ دمشق ٢٠/ ٢٨.

فمما سِرُّ انتصاره على عدوه الذي كان يقاتل في عقر داره، وله كافة المُحَسِّنَاتِ التي يتفوق بها على المسلمين؟

لقد كان سارية يتحلى بالشجاعة الشخصية النادرة وبالإقدام النادر الذي يتخطى بجرأة عجيبة كُلَّ ما يعترضه من عقبات، وكان قديرًا على تفهم تأثير طبيعة ساحة المعركة على نتائج المعركة؛ أو بتعبير آخر: كانت له قابلية لاختيار الأرض المناسبة للمعركة المناسبة؛ فقد كان في العراء حين كان يحاصر عدوه، فلما تفوق هذا العدو على المسلمين بِعَدَدِهِ وَعُدَدِهِ كان لا بُدَّ لسارية أن يختار موضعًا دفاعيًّا مناسبًا يساعده على الدفاع؛ فاختار الجبل وترك السهل.

وكان سريعَ القرارِ صَحِيحَهُ، بعيد النظر لَمَّاحًا للفرص المناسبة، لا يُضَيِّعُهَا أبدًا؛ وكان ذا إرادة قوية وشخصية نافذة، له ماضٍ مشرفٌ مجيدٌ. تلك هي مزايا قيادته التي أَمَّنَتْ له النصر العظيم.

- **سارية في التاريخ:**

من معرفة موقع (دارابجرد) على خريطة فارس تتضح لنا - بشكلٍ جَلِيٍّ - الأهمية السوقية (الاستراتيجية) البالغة لولاية (دارابجرد)؛ فهي بالإضافة إلى كثرة مدنها وَقُرَاهَا ووفرة مياهها وخيراتها وازدحامها بالسكان، مما كان له أثر كبير على إدامة[1] المجاهدين المسلمين بالمال والرجال، فإنها تقع في قلب البلاد الفارسية، ومنها تسهل السيطرة على الولايات الفارسية الشمالية والجنوبية، كما أنها تصلح لتكون قاعدة متقدمة ينطلق الفاتحون منها باتجاه الشرق... إلى الصين، تلك هي بعض أهمية هذه المنطقة من الناحية العسكرية، فهل بإمكان التاريخ أن ينسى لفاتحها ما أَسْدَاهُ للفتح الإسلامي من أفضال؟

(١) الأدامة: مصطلح عسكري، يقصد به في الجيش العراقي تأمين متطلبات القوات المقاتلة الإدارية كافة: إمدادها بالرجال والسلاح وبالعتاد وبالنقلية والتجهيزات، والأرزاق وبالأمور الطبية والبيطرية، وإجراء التصليحات اللازمة لأسلحتها ونقليتها وتجهيزاتها.

إن هذه المنطقة كان لها أثر كبير في الفتح الإسلامي الذي امتد شرقًا حتى الصين، كما أن سكانها لا يزالون يدينون حتى اليوم بالإسلام.

تُرَى هل يذكرون فاتحها كما يذكره التاريخ؟!

رضي الله عن الصحابي الجليل، القائد الفاتح، سارية بن زنيم الكناني [1].

* * *

(١) قادة فتح بلاد فارس ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٣٩٤) الصحابي الجليل، والأمير الفاضل المؤتمن، والقائد الفاتح، أبو عبداللَّه عثمان بن أبي العاص الثقفي الطائفي، فاتح أرمينية الرابعة[١]، وجزيرة بركاوان[٢]، وبلاد فارس[٣] وأول من هاجم بلاد السند

هو الصحابي أبو عبداللَّه عثمان بن أبي العاص بن بشر بن دُهْمان بن عبداللَّه بن هَمَّام بن أبان بن يسار بن مالك بن حُطيط بن جُشَم بن ثقيف.

قدم عثمان بن أبي العاص على رسول اللَّه ﷺ مع وفد ثقيف[٤]، وكان أصغر الوفد سِنًّا، فكانوا يخلِّفونه على رحالهم، يتعاهدها لهم، فإذا رجعوا من عند رسول اللَّه ﷺ، وناموا ـ وكانت الهاجرة ـ، أتى عثمان رسول اللَّه ﷺ؛ فأسلم قبلهم سرًّا منهم، وكتمهم ذلك، وجعل يسأل رسول اللَّه ﷺ عن الدين، ويستقرئه القرآن، فقرأ سورًا من فِي رسول اللَّه ﷺ، وكان إذا وجد رسول اللَّه ﷺ نائمًا، عمد إلى أبي بكر، فسأله واستقرأه، وإلى أُبَيٍّ بن كعب فسأله واستقرأه، فَأُعْجِبَ به رسول

---

(١) أرمينية الرابعة: هناك أربع أرمينيات، وأرمينية بصورة عامة بلاد بين أذربيجان والروم ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة. انظر آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص (٤٩٥). ومن مدن أرمينية الرابعة: شمشاط وقاليقلا وأرجيش وبأجنيس. وانظر التفاصيل في معجم البلدان (١/ ٢٠٤).

(٢) جزيرة بركاوان: وردت: أيزكاوان في الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/ ٤٧). ووردت: أبركاوان في البلاذري ص (٣٧٨)، والصحيح ما جاء أعلاه، انظر معجم البلدان (٦/ ٣٢٦) و(٢/ ١٤٩)، وهي جزيرة لافت الواقعة في بحر عمان بينها وبين هجر، انظر التفاصيل في معجم البلدان: (٧/ ٣١٤).

(٣) بلاد فارس: حدودها من الشرق كرمان ومن الغرب كور خوزستان وأصبهان، ومن الشمال المفازة التي بين فارس وخراسان وبعض حدود أصبهان، ومن الجنوب البحر العربي. انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (٦٧) ومعجم البلدان (٦/ ٣٢٤) وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص (٢٣٢).

(٤) كان وفد ثقيف مؤلّفا من: ١ ـ عبد ياليل، ٢. الحكم بن عمرو بن وهب، ٣ ـ شرحبيل بن غيلان، ٤ ـ عثمان بن أبي العاص، ٥ ـ أوس بن عوف، ٦ ـ نمير بن خرشة. . .انظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٩٨).

اللَّه ﷺ وَأَحَبَّهُ، فلما أسلم الوفد، وكتب لهم رسول اللَّه الكتاب الذي قَاضَاهُمْ عليه وأرادوا الرجوع إلى بلادهم قالوا: يا رسول الله، أَمِّرْ علينا رجلًا منَّا. فَأَمَّرَ عليهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم؛ لما رأى رسول اللَّه ﷺ من حرصه على الإسلام[(١)]. قال الذهبي: قدم وفد ثقيف على النبي في سنة تسع، فأسلموا، وَأَمَّرَهُ عليهم؛ لما رأى من عقله وحرصه على الخير والدين، وكان أصغر الوفد سِنًّا.

قال له النبي ﷺ: «**أنت إمامهم، وَاقْتَدِ بأضعفهم، واتَّخِذْ مؤذنًا لا يأخذ على أذانه أجرًا**»[(٢)].

وتوفى رسول اللَّه ﷺ وعثمان بن أبي العاص عامله على الطائف، ثم أَقَرَّهُ أبو بكر على الطائف، ثم عمر رضي الله عنه.

وتزوج عثمان بن أبي العاص خالدة بنت أبي لهب ابنة عم رسول اللَّه ﷺ فولدت له.

قال المغيرة بن شعبة الثقفي عن إسلام ثقيف: «فدخلوا الإسلام، فلا أعلم قومًا من العرب بني أب ولا قبيلة كانوا أصح إسلامًا ولا أبعد أن يوجد فيهم غش لله ولكتابه منهم»[(٣)].

- **جهاده:**

لما مات النبي ﷺ ارتدت العرب، وَتَضَرَّمَتِ الأرض نارًا، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشًا وثقيفًا[(٤)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٧ ت ٤٨.
وانظر الإصابة ت (٥٤٥٧)، والاستيعاب ت (١٧٩١)، وأسد الغابة ت (٣٥٨١)، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٧٤.

(٢) سنده صحيح على شرط مسلم: أخرجه أبو داود (٥٣١)، والنسائي (٢/ ٢٣)، وأحمد (٤/ ٢١٧)، عن عثمان بن أبي العاص.

(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٣١٣).

(٤) الكامل: (٢/ ٢٠٥).

ويعود الفضل في ثبات ثقيف على إسلامها لأميرها الفاضل عثمان بن أبي العاص.

قال ابن حجر: «كان هو الذي منع ثقيفًا عن الرِّدَّةِ؛ خطبهم، فقال: كنتم آخر الناس إسلامًا، فلا تكونوا أَوَّلَهُمْ ارتدادًا»(١).

وكانت قواعد المسلمين التي يستندون عليها في إمدادهم بالرجال والقضايا الإدارية لإدامة حرب الردة في زمن الصديق ثلاثة مدن: المدينة، وقلة، والطائف، وكان عثمان رضي الله عنه مسئولًا عن إدارة قاعدة «**الطائف**»، فكان لثباته العظيم أعظم الأثر في ثبات الطائف على الإسلام أولًا، وتقوية معنويات المسلمين الذين حولها ومعاونتهم في قتال المرتدين من القبائل ثانيًا، وإمداد قادة المسلمين بالرجال والمواد لقتال المرتدين حتى وصلت بعوثه إلى اليمن.

فقد بعث عثمان بن أبي العاص عثمان بن ربيعة الثقفي عند وفاة النبي إلى مَنْ تَجَمَّعَ من الأزد، فحاربهم، فهزمهم عثمان، وقال في ذلك:

فَضَضْنَا جَمْعَهُمْ وَالنَّقْعُ كَائِن ... وقَدْ يُعْدِي عَلَى الْغَدْرِ الْعُقُوقُ
وَأَبْرَقَ بَارِقٌ لَمَّا الْتَقَيْنَا ... فَعَادَتْ خُلَّبًا تِلْكَ الْبُرُوقُ(٢)

فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنْ دِينِهِ خَيْرًا.

لما أراد عمر أن يستعمل على البحرين، فَسَمَّوْا له عثمان بن أبي العاص، قال: «ذَاكَ أَمِيرٌ أَمَّرَهُ رسول الله ﷺ على الطائف، فلا أعزله». قالوا له: يا أمير المؤمنين، تأمره يستخلف على عمله من أحبَّ، وتستعين به، فكأنك لم تعزله. فقال: «أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ».

فكتب إليه أن خَلِّفْ على عملك مَن أحببت، واقدم عليَّ. فخلَّف أخاه الحكم بن أبي العاص على الطائف، وقدم على عمر بن الخطاب، فَوَلَّاهُ البحرين(٣).

---

(١) الإصابة: (٤/ ٣٧٤).
(٢) الإصابة: (٤/ ٣٧٢).
(٣) طبقات ابن سعد: (٦/ ٤٨ - ٤٩).

كانت شجاعة عثمان بن أبي العاص وبطولته لا تخفى على أحد من العرب منذ الجاهلية؛ فقد شَدَّ على عمرو بن معديكرب، فهرب عمرو وهو من هو، فقال عثمان:

لَعَمْرُكَ لَوْلَا اللَّيْلُ قَامَتْ مَآتِمٌ حَوَاسِرُ يَخْمِشْنَ الْوُجُوهَ عَلَى عَمْرِو
فَأَفْلَتَنَا فَوْتُ الْأَسِنَّةِ بَعْدَمَا رَأَى الْمَوْتَ وَالْخَطِّيَّ أَقْرَبَ مِنْ شَعْرِي[١]

وكانت فروسيته لا تخفى على عمر، فلما أذن عمر بن الخطاب للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس وعقد الألوية لأمرائه دفع عمر لواء «إصطخر» إلى عثمان[٢].

❑ الفاتح:

- **فتح أرمينية الرابعة:**

في سنة (١٩هـ) وَجَّهَ عياض بن غنم عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة، فقاتل أهلها، فاستشهد صفوان بن المعطّل، وصالح أهلها عثمان على الجزية، على كل أهل بيت دينار[٣].

- **فتح إصطخر[٤] وبلاد فارس سنة ثلاث وعشرين من الهجرة:**

قصد عثمان بن أبي العاص لإصطخر؛ فالتقى هو وأهل إصطخر بجور، فاقتتلوا وانهزم الفرس، وفتح المسلمون «**جور**»[٥] ثم «**إصطخر**»، وقتلوا ما شاء الله، ثم فَرَّ منهم مَنْ فَرَّ، فدعاهم عثمان إلى الجزية والذمَّة، فأجابه «**الهربذ**» إليها، فتراجعوا، وكان عثمان قد جمع الغنائم لَمَّا هزمهم، فبعث بخمسها إلى عمر، وَقَسَّمَ الباقي في الناس.

---

(١) الإصابة: (٤/ ٣٧٤).
(٢) الكامل: (٢/ ٣٩٥).
(٣) الكامل: (٢/ ٣٧٨).
(٤) إصطخر: عاصمة إقليم اصطخر، وهي أقدم مدن فارس وأشهرها، وبها كان مسكن ملك فارس حتى تحوّل أردشير إلى (جور).
(٥) جور: مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخا.

● **لِلَّهِ دَرُّ جُنُودِكَ يَا عُثْمَانُ:**

قال الطبري: «عَفَّتِ الجند عن النهاب، وأدوا الأمانة، فجمعهم عثمان ثم قام فيهم، وقال: إن هذا الأمر لا يزال مقبلًا، ولا يزال أهله معافين مما يكرهون ما لم يَغُلُّوا، فإذا غَلُّوا رأوا ما يُنكرون، ولم يسد الكثير مَسَدَّ القليل اليوم»(١).

وفتح عثمان «**كازرون**»(٢)، و«**النوبندجان**»(٣)، وغلب على أرضها.

وفتح هو وأبو موسى مدينة «**شيراز**»(٤) صلحًا، و«**أرجان**»(٥) صلحًا على الجزية والخراج، وفتحا «**سينيز**»(٦) من إقليم «**أردشير**»(٧) على الجزية والخراج، وقصد عثمان أيضًا «**جنَّابا**»(٨) ففتحها، ولقيه جمع الفرس بناحية «**جهرم**»(٩) فهزمهم وفتحها، وصالح عثمان مدينة «**فَسَا**»(١٠) ومدينة «**سابور**»(١١).

قال البلاذري: «**بعث عثمان بن أبي العاص هرم بن حيَّان العبدي إلى قلعةٍ يقال لها:** «**شبير**» ففتحها عَنوة بعد حصار وقتال، وقال بعضهم: فتح هرم قلعة «**الستوج**» عَنوة، وأتى عثمان «جرة» من سابور، ففتحها وأرضها ـ بعد أن قاتله أهلها ـ صلحًا على أداء الجزية والخراج ونصح المسلمين.

---

(١) تاريخ الطبري: (٣/ ٢٥٢).

(٢) كازرون: مدينة بين البحر وشيراز.

(٣) النوبندجان: مدينة بأرض فارس من كوّة سابور، قريبة من شعب بوان الموصوف بالحسن والنزهة.

(٤) شيراز: مدينة في وسط بلاد فارس، وهي قصبة بلاد فارس.

(٥) أرجان: مدينة كبيرة، بينها وبين البحر مرحلة، وبينها وبين شيراز ستون فرسخا، وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخا.

(٦) «سينيز»: بلد على ساحل الخليج العربي أقرب إلى البصرة من «سيراف».

(٧) البلاذري: ص ٢٨٠.

(٨) جنَّابا: بلدة صغيرة من سواحل فارس.

(٩) جهرم: مدينة ببلاد فارس بينها وبين شيراز ثلاثون فرسخا.

(١٠) فسا: سبق ذكرها بينها وبين شيراز أربع مراحل.

(١١) سابور: كورة مشهورة بأرض فارس على اسم مدينة «سابور» التي بينها وبين «شيراز» خمسة وعشرون فرسخا. انظر الكامل: ٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

وفتح عثمان «**كازرون**» من سابور وغلب على أرضها، وفتح عثمان «**النوبندجان**» من سابور أيضًا، وغلب عليها، واجتمع أبو موسى وعثمان بن أبي العاص في آخر خلافة عمر رضي الله عنه ففتحا «**أرجان**» صلحًا على الجزية والخراج، وفتحا «**شيراز**» وهي من أرض «**أردشير خرة**» على أن يكونوا ذمة يؤدون الخراج إلا من أحبَّ منهم الجلاء، ولا يُقْتَلُوا ولا يُسْتَعْبَدُوا، وفتحا «**سينيز**» من أرض «أردشير خرة» وترك أهلها عُمَّارًا للأرض، وفتح عثمان حصن «**جنابا**» بأمان، وأتى عثمان بن العاص «**دارابجرد**» وعليها «**الهربذ**» فصالحه «الهربذ» على مالٍ أعطاه إياه، وعلى أن أهل «**دارابجرد**» كلهم أسوة بمن فُتِحَتْ بلاده من أهل فارس، واجتمع له جمع بناحية «**جهرم**» فَفَضَّهُمْ، وفتح أرض «جهرم»، وأتى عثمان فصالحه عظيمُهَا على مثل صلح «**دارابجرد**»، ويقال: إن «الهربذ» صالح عليها أيضًا.

وأتى عثمان بن أبي العاص مدينة سابور في سنة ثلاث وعشرين، ويُقال: (في سنة أربع وعشرين) قبل أن تأتي أبا موسى ولايته البصرة من قِبَل عثمان بن عفان، فوجد أهلها هائبين للمسلمين، ورأى أخو «**شهرك**» في منامه كَأَنَّ رجلًا من العرب دخل عليه فسلبه قميصه، فَنَخَبَ ذلك قلبه، فامتنع قليلًا، ثم طلب الأمان والصلح، فصالحه عثمان على أن لا يقتل أحدًا ولا يسبيه، وعلى أن تكون له ذمة ويعجل مالًا. ثم إن أهل سابور نقضوا وغدروا، فَفُتِحَتْ في سنة ست وعشرين؛ فتحها عنوة أبو موسى وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص»[١].

في الكامل: «إن شهرك خلع في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان، وَنَشَّطَ أهل فارس، ودعاهم إلى النقض، فوجه إليه عثمان بن أبي العاص ثانية، وأتته الأمداد من البصرة، وأميرهم عبيدالله بن معمر، وشبل بن معبد، فالتقوا بأرض فارس، فقال شهرك لابنه ـ وهما في المعركة، وبينهما وبين قرية لهما تُدعى «**شهرك**» ثلاثة فراسخ ـ: «يا بني أين يكون غداؤنا؟ هاهنا أم بشهرك؟ قال له: يا

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.

أبت، إن تركونا فلا يكون غداؤنا هاهنا ولا بشهرك، ولا نكون إلَّا في المنزل، ولكن واللَّه ما أراهم يتركوننا. فما فرغا من كلامهما حتى شَبَّ المسلمون الحرب، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وقُتِل «**شهرك**» وابنه وَخَلْقٌ عظيمٌ، والذي قَتَلَ شهرك الحكم بن أبي العاص أخو عثمان، وقيل: (قتله سوار بن همام العبدي)؛ حمل عليه فطعنه فقتله، وحمل ابن شهرك على سوار فقتله»[(١)] .

وقتل عثمان بن العاص مرزبان «**كرمان**»؛ لقيه في جزيرة «**بركاوان**» وهو في خف، فقتله، فوهن أمر أهل كرمان، ونخبت قلوبهم»[(٢)] .

فلله در عثمان من بطل!!.

وقال الذهبي عن عثمان: «الأمير الفاضل المؤتمن، أبو عبداللَّه الثقفي الطائفي... استعمله عمر على عمان والبحرين، ثم قدَّمه على جيش، فافتتح «**توَّج**»، ومصَّرها، وسكن البصرة»[(٣)] .

قال البلاذري: «**لما ولى عمر عثمان بن أبي العاص البحرين وعمان فدوَّخهما، واتَّسقت له طاعة أهلهما**»[(٤)] ، وهذا يدل على أن عثمان كان إداريًّا قديرًا، سيطر على البحرين وعمان مثلما سيطر على إدارة الطائف في أحرج الظروف، ولا يقوم بهذا إلا ذو عقل وقوام وكفاية، أقره عثمان على ولايته حتى سنة ثمان وعشرين للهجرة.

وكان رضي الله عنه من أصحاب الفتيا من الصحابة[(٥)] ؛ قال عنه الحسن البصري: «**ما رأيت أحدًا أفضل منه**»[(٦)] .

---

(١) «الكامل» (٢/ ٤٤٠).
(٢) البلاذري: ص ٣٨٣.
(٣) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٧٤).
(٤) البلاذري: ص ٣٧٨.
(٥) أصحاب الفتيا من الصحابة لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص ٣٢١.
(٦) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٧٥.

- **القائد:**

«كان عثمان سريعَ القرارِ صَائِبَهُ؛ نتيجة لذكائه وكفاءته وَبُعْدِ نظره وترتيباته الاستطلاعية التي كان يتخذها دائمًا قبل خوض معاركه؛ لذلك انتصر في كل معركة خاضها؛ داخلية ضد المرتدين، وخارجية في الفتح الإسلامي.

وكان شجاعًا مقدامًا، يثق بقواته، وتثق قواته به، له شخصية نافذة وإرادة قوية، يتحمل مسئوليته كاملة؛ يبادله رجاله حبًا بحب وثقةً بثقة، له ماض ناصع مجيد قبل الإسلام وبعده.

وكان يحرص على (اختيار مقصده وإدامته)، كما كان قائدًا (تعرضيًّا)، يطبق مبدأ (المباغتة) في حروبه، ويعمل على (تحشيد قوته) قبل البدء بالقتال، ويضع مبدأ (الأمن) نصب عينيه دائمًا حتى يحافظ على قواته سالمة، و(يديم معنوياتها) قبل المعركة وأثناءها وبعدها.

- **عثمان في التاريخ:**

يذكر التاريخ عثمان بإعجاب شديد؛ لعقيدته الراسخة ولفتوحاته؛ يذكره لعقيدته الراسخة التي جعلته يسارع إلى الإسلام قبل أصحابه في وفد ثقيف، ويحرص على استيعاب الدين الجديد قبلهم، ثم يقف صامدًا أمام الذين أرادوا نبذ الإسلام من ثقيف بعد التحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى؛ مما أدى إلى بقاء قومه في الطائف مسلمين يدافعون عن الإسلام.

ويذكر فتوحاته الواسعة التي شملت أكثر بلاد فارس موطن الفرس الأصلي الذي انْبَعَثُوا منه إلى أرجاء العالم القديم ليكونوا أقوى إمبراطورية لا تزال آثار حضارتها باقية حتى اليوم.

لقد فتح بالإضافة إلى فارس أرمينية الرابعة، وكان أول من هاجم السند، فكانت معاركه التمهيدية فيها إيذانًا بفتحها فيما بعد ونشر الإسلام في ربوعها،

وقد غزا ثلاثة من مدن الهند[١].

إن عثمان بن أبي العاص مفخرة من مفاخر التاريخ العربي الإسلامي.

رضي الله عن الصحابي الجليل، الإداري الحازم، القائد الفاتح، عثمان بن أبي العاص الثقفي[٢].

* * *

(١) جمهرة أنساب العرب: ٢٥٤.

(٢) قادة فتح بلاد فارس: ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٣٩٥) الصحابي القائد الفاتح، الحكم بن أبي العاص الثقفي ﵁ فاتح جزيرة بركاوان[١]، وتَوَّج[٢]، وفاتح إصطخر ثانية

هو الحكم بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دُهمان الثقفي أخو عثمان.

قال ابن سعد: يُقال: له صحبة. وقال ابن الأثير: له صحبة، وولَّاه أخوه عثمان البحرين؛ وسبب ذلك أن عمر بن الخطاب لما كان عثمان على الطائف كتب إليه عمر: أقبل، واستخلف أخاك. ولما استعمل عمر ﵁ عثمان على البحرين وعمان، وَجَّهَ عثمان أخاه الحكم على البحرين[٣].

أسلم الحكم بعد قدوم وفد ثقيف وإسلام ثقيف؛ فنال شرف الصحبة، ولم يَنَلْ شرف الجهاد مع رسول الله ﷺ.

- **جهاده:**

كان الحكم ﵁ الساعد الأيمن لأخيه عثمان في إدارة الطائف وثباتها على الإسلام، وفي جهاد المرتدين، وفي فتوحات فارس.

وافتتح الحكم فتوحًا كثيرة في العراق سنة تسع عشرة أو سنة عشرين[٤].

قال البلاذري: «إن عثمان بن أبي العاص وَجَّهَ أخاه الحكم بن أبي العاص في البحر إلى فارس في جيش عظيم من عبد القيس والأزد وتميم وبني ناجية وغيرهم؛ ففتح جزيرة «**بركاوان**»، ثم صار إلى «**تَوَّج**» وهي من أرض «**أردشير خرة**»، ومعنى «**أردشير خرة**»: بهاء أردشير.

---

(١) بركاوان: هي جزيرة لافت الواقعة في بحر عُمان «الخليج العربي» بينها وبين هجر.

(٢) توّج: مدينة بفارس.

(٣) انظر: الإصابة (٢/ ٩٠) ت ١٧٨٥، وأسد الغابة (٢/ ٥٠) ت (١٢١٨)، والاستيعاب ت (٥٤٤).

(٤) المصدر السابق.

وفي رواية أبي مخنف: إن عثمان بن أبي العاص نفسه قطع البحر إلى فارس، فنزل «**تَوَّج**» ففتحها وبنى المساجد وجعلها دارًا للمسلمين، وأسكنها عبد القيس وغيرهم، فكان يُغِيرُ منها على (أرجان) وهي متاخمة لها، ثم إنه شخص عن فارس إلى عمان والبحرين لكتاب عمر إليه في ذلك، واستخلف أخاه الحكم.

وقال غير أبي مخنف: إن الحكم فتح «**تَوَّج**»، وأنزلها المسلمين من عبد القيس وغيرهم سنة تسع عشرة. وقالوا: إن «**شهرك**» مرزبان فارس وواليها أَعْظَمَ ما كان من قدوم العرب فارس، واشتد عليه، وبلغته نكايتهم وبأسهم وظهورهم على كل من لقوه من عدوهم، فجمع جموعًا عظيمة، وسار بنفسه حتى أتى «**راشهر**» من أرض سابور، وهي بقرب «**تَوَّج**»، فخرج إليه الحكم بن العاص وعلى مقدمته «**سوار بن همام العبدي**»، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وكان هناك وادٍ قد وَكَّلَ به «**شهرك**» رجلًا من نقابه في جماعة، وأمره أن لا يجتازه هارب من أصحابه إلا قتله، فأقبل رجل من شجعاء الأساورة مُوَلِّيًا من المعركة، فأراد الرجل قتله، فقال له: لا تقتلني؛ فإنما نقاتل قومًا منصورين، اللَّه معهم. ووضع حجرًا، فرماه، ففلقه، ثم قال: أترى هنا السهم الذي فلق الحجر، واللَّه ما كان ليخدش بعضهم لو رُمِيَ به. قال: لا بد من قتلك، فبينا هو في ذلك إذ أتاه الخبر بقتل شهرك، وهزم اللَّه المشركين، وَفُتِحَتْ «**راشهر**» عَنوة، وكان يومها في صعوبته وعظيم النعمة على المسلمين فيه كيوم القادسية، وتوجه بالفتح إلى عمر بن الخطاب عمرو بن الأهتم التميمي[(١)].

- **لِلَّهِ دَرُّ سِوَارِ بْنِ هَمَّامٍ الْعَبْدِيِّ مِنْ بَطَلٍ:**

قتل سوار بن همام العبدي في هذه المعركة «شهرك»؛ حمل عليه فطعنه؛ فَأَرْدَاهُ عن فرسه، وضربه بسيفه حتى فاضت نفسه، وحمل ابن شهرك على سوار فقتله، ولما جاء عمرو بن الأهتم عمر بن الخطاب بخبر الفتح، قال له:

(١) «فتوح البلدان» للبلاذري ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

جئت الإمام بإسراع لِأُخْبِرَهُ ... بالحق من خبر العبدي سوار

أخبار أروع ميمون نقيبته ... مستعمل في سبيل اللَّه مغوارُ[١]

● رواية أخرى:

قال ابن الأثير: «والذي قتل شهرك الحكم بن أبي العاص أخو عثمان، وقيل: قتله سوار بن همام العبدي؛ حمل عليه فطعنه فقتله، وحمل ابن شهرك على سوار فقتله.

وقيل: إن إصطخر كانت سنة ثمان وعشرين، وكانت فارس الآخرة سنة تسع وعشرين.

وقيل: إن عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين في ألفين إلى فارس؛ ففتح جزيرة «**بركاوان**» في طريقه، ثم سار إلى «**توج**»، وكان «**كسرى**» أرسل «**شهرك**»، فالتقوا مع «**شهرك**»، وكان «**الجارود**»، و«**أبو صفرة**» على مجنبتي المسلمين، و«**أبو صفرة**» هذا هو والد «**المهلب**»، فحمل الفرس على المسلمين فهزموهم، فقال «**الجارود**»: أيها الأمير فَرِّدِ الجند. فقال: سترى أمرك. فقال: فما لبثوا حتى رجعت خيل لهم ليس عليها فرسانها، والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم، فنثرت الرءوس، فرأى «**المكعبر**»[٢] رأسًا ضخمًا فقال: أيها الأمير، هذا رأس الازدهاق - يعني شهرك. وَحُوصِرَ الفرس بمدينة سابور، فصالح عليها ملكها «**أرزنبان**»[٣]، فاستعان به الحكم على قتال أهل إصطخر»[٤].

وانتقضت (إصطخر) التي فتحها عثمان بن أبي العاص على المسلمين؛ فسار إليها الحكم، واستطاع تحطيم قوات الفرس بعد قتال عنيف بمعاونة أخيه عثمان الذي سارع لنجدة أخيه، وبذلك أعاد (إصطخر) والمنطقة المحيطة بها إلى سيطرة

---

(١) المصدر السابق: ص ٣٧٩.

(٢) من كبار رجالات فارس.

(٣) عند الطبري: أدربيجان.

(٤) الكامل: (٢/ ٤٤٠ - ٤٤١).

المسلمين.

لقد كان الحكم عونًا لأخيه عثمان في فتوحاته الكثيرة في إقليم فارس؛ فكان يعمل تحت لواء أخيه تارة، ويعمل مستقلًّا لفتح بعض المناطق تارة أخرى؛ وبذلك استطاع أن يفتح فتوحًا كثيرة.

- **القائد:**

«لعل الحكم نسخة طبق الأصل من أخيه عثمان بن أبي العاص في مزاياه قائدًا.

كان شجاعًا مِقدامًا سريع القرار، يبادل رجاله الثقة والمحبة، ذا شخصية نافذة وإرادة قوية.

لقد انتصر في كل معركة خاضها؛ لأنه طبق أهم مبادئ الحرب في القتال؛ إذ إنه حرص على مبدإ (اختيار المقصد وإدامته)، ومبدإ (التعرض)، ومبدإ (المباغتة)؛ وبذلك استطاع تحطيم قوات فارسية كبيرة بأقل جهد ممكن، وبأقل خسائر ممكنة.

- **الحكم في التاريخ:**

لا يكاد التاريخ يذكر عثمان بن أبي العاص أخا الحكم إلا ويذكر الحكم إلى جانبه شريكًا له في إنجازاته الرائعة في الدفاع عن الإسلام وفي الفتح الإسلامي.

لقد شارك الحكم أخاه عثمان في منع ثقيف من الردة، وشاركه في فتوحاته كلها، وشاركه في كل أعماله الإدارية، وفي كل واجباته في السِّلْمِ والحرب؛ وبذلك استحق الحكم تقدير التاريخ.

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، الإداري الحازم، القائد الفاتح، الحكم بن أبي العاص الثقفي»[1].

* * *

(١) قادة فتح بلاد فارس ص ٢٧١ - ٢٧٢.

(٣٩٦) الصحابي القائد الفاتح سيد قيس بالبصرة مُجاشِع بن مسعود السُّلَمي فاتح لواء أردشير خُرَّة[١] وسابور[٢] .. وفاتح كِرمان ثانية

هو الصحابي الجليل مُجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب بن عائذ بن ربيعة بن يربوع بن سمَّال - وقيل: سِمَاك - بن عوف بن امرئ القيس بن بُهثة بن سُليم بن منصور بن عكرمة بن خَفصة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أخو مجالد. وأمهما مُلَيْكَةُ بنت سفيان[٣]، ولهما صحبة.

- **إسلامه:**

أسلم قبل أخيه مجالد[٤]. وقد أسلم مجالد بعد فتح مكة.

عن مجاشع بن مسعود قال: يا رسول الله، هذا مجالد، فَبَايِعْهُ على الهجرة. قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن أُبَايِعُهُ على الإسلام**»[٥].

وعن أبي عثمان عن مجاشع السلمي قال: أتيتُ رسول اللَّه ﷺ أنا وأخي، فقلت: يا رسول الله، بَايِعْنَا على الهجرة، فقال: «**قد مضت الهجرة لأهلها**»، فقلتُ: عَلَامَ نبايعك يا رسول الله؟ قال: «**على الإسلام والجهاد**»، قال: فلقيت

---

(١) أردشير خره: هي مدينة جُور سمّاها العرب بهذا الاسم. وهي مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخا.

(٢) سابور: كورة واسعة مدينتها سابور. . وهي كورة مشهورة بأرض فارس مدينتها النوبندجان في قول ابن الفقيه، وشهرستان في قول البشاري.

(٣) انظر طبقات ابن سعد: (٧/ ٢٢)، والاستيعاب (٤/ ١٤٥٧) ت (٢٥٤٤)، وأسد الغابة (٥/ ٥٥) ت (٤٦٦٩)، والإصابة (٥/ ٥٦٩) ت (٧٧٣٧)، وتهذيب الكمال (٢٧/ ٢١٤).

(٤) أسد العابة (٥/ ٥٦).

(٥) رواه البخاري (٤/ ٩٢)، ومسلم: (٦/ ٢٧).

أخاه، فقال: صدق مجاشع»[١].

وفي «**أخبار أصبهان**» ما يفيد أن مجاشعًا قد أسلم قبل الفتح، وهاجر إلى المدينة، فقال له الناس: ألا تختط؟ فقال: «**والله ما لهذا هاجرنا**»[٢]، فهو من المهاجرين[٣].

شـــهـد غزوة فتح مكة مسلمو بني سليم، كما شهدوا ما بعدها من غزوات النبي ﷺ ونال مجاشع الأسلمي رضي الله عنه شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول ﷺ.

- **جهاده:**

كان مجاشع من أبطال ميدان الفتوحات في العراق وفارس، وشهد فتح الأبلة «تحت راية صهره عتبة بن غزوان».

وفي سنة (١٤ هـ) استعمل عتبة مجاشع بن مسعود على جماعة، وَسَيَّرَهُمْ إلى الفرات، واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلاة إلى أن يقدم مجاشع بن مسعود، فإذا قدم فهو الأمير، وسار عتبة إلى عُمر، فظفر مجاشع بأهل الفرات.

فقال عمر لعتبة: مَنِ استعملت على البصرة؟ فقال: مجاشع بن مسعود؟ قال: «**أتستعمل رجلًا من أهل الوبر على أهل المدر**[٤]**؟**»[٥].

ولشجاعة وبطولة مجاشع التي أبرزها ميدان الحرب، وعلم بها القاصي والداني أرسل عمر بن الخطاب سهيل بن عدي بلواء أردشير خُرة وسابور إلى مجاشع سنة (١٧هـ)[٦].

---

(١)أخرجه البخاري (٤/ ٦١) ومسلم (٦/ ٢٨).
(٢)أخبار أصبهان: (١/ ٧٠).
(٣)المصدر السابق.
(٤)المدر: الطين اللزج المتماسك. وأهل المدر: هم سكان المدن خلاف أهل الوبر وهم البدو سكّان الخيام.
(٥)الكامل: (٢/ ٣٣٦).
(٦)الكامل: (٢/ ٣٩٥).

تحرك مجاشع على رأس جيشه من أهل البصرة إلى الأهواز بأمر من عمر بن الخطاب الذي قال له: «**انْصل منها على ماه**»[١]، فخرج حتى إذا كان بـ«**غفي شجر**» ـ جبال البصرة ـ أمره النعمان أن يقيم مكانه، وكان واجب مجاشع إشغال قوات فارس بالأهواز حتى يحول بينهم وبين القوات المحتشدة بنهاوند.

وفي مسير النعمان بن مقرن بجيشه إلى نهاوند كان مجاشع على الساقة، وأبلى البطل مجاشع أعظم البلاء في معركة «**نهاوند**».

- **فتح تَوَّج:**

قصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خرة فيمن معه، فالتقى هو والفرس بِتَوَّج، فاقتتلوا ما شاء الله، ثم انهزم الفرس، وقتلهم المسلمون كيف شاءوا كل قتلة، وغنموا ما في عسكرهم، وحصروا تَوَّج؛ فافتتحوها، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، وغنموا ما فيها، وهذه توج الآخرة، والأولى هي التي استقدمتها جنود العلاء بن الحضرمي أيام (طاوس)، ثم دعوا إلى الجزية فرجعوا وأقروا بها، وأرسل مجاشع بن مسعود السلمي بالبشارة والأخماس إلى عمر بن الخطاب[٢]، وبعد فتح «**توج**» وهي من أرض أردشير خرة تغلغل مجاشع في لواء أردشير خرة وسابور ففتحه، وقد اختلف أهل العلم في فاتح «**توج**»؛ فذكر البلاذري أنه الحكم بن أبي العاص كما ذكرنا، وفي رواية لابن الأثير وغيره أنه عثمان بن أبي العاص، وَرَجَّحَ اللواء محمود شيت خطاب أنه مجاشع؛ لأنها ضمن منطقة قيادته التي أُلْقِيَ على عاتقه مهمة فتحها[٣].

قال مجاشع في فتح «**تَوَّج**»:

ونحن ولينا مرة بعد مرة ... بتوج أبناء الملوك الأكابرِ
لقينا جيوش الماهيان بسُحرة ... على ساعة تلوي بأهل الحظائرِ

---

(١) ماه: هي ماه دنيار وهي مدينة نهاوند.
(٢) الكامل: (٢/ ٤٩٣).
(٣) قادة فتح بلاد فارس ص ٢٥٧ بهامش (٢١).

فما فتئت خيلي تكرُّ عليهم ويلحق منها لاحق غير حائر

- **غزو كابل وفتح كرمان مرة ثانية:**

وفي خلافة عثمان بن عفان لما تولى عبدالله بن عامر بن كُريْز العبشمي البصرة أصبح مجاشع ساعده الأيمن، وسار معه لإعادة فتح البلاد المنتقضة من بلاد فارس.

قال الدولابي: إنه غزا كابل من بلاد الهند؛ فصالحه «**الأصهيد**»، فدخل مجاشع بيت الأصنام، فأخذ جوهرة من عين الصنم، وقال: لم آخذها إلا لتعلموا أنه لا يضر ولا ينفع[١].

لما سار ابن عامر إلى فارس وَجَّهَ مجاشع بن مسعود السلمي إلى كرمان في طلب يزدجرد، فهرب إلى خراسان، وهلك جيش مجاشع بالثلج والدمق[٢]، ونجا مجاشع ورجل معه جارية فقط.

ثم لما توجه ابن عامر يريد خراسان وَلَّى مجاشعًا كرمان ففتح «**بيمند**»[٣] عنوة، واستبقى أهلها، وأعطاهم أمانًا، وبها قصر يعرف بقصر مجاشع، وفتح مجاشع بروخروة، وأتى «**الشيرجان**»[٤]؛ وهي مدينة كرمان، وأقام عليها أيامًا يسيرة وأهلها متحصِّنون، وقد خرجت لهم خيل فقاتلهم، ففتحها عنوة، وَخَلَّفَ بها رجلًا، ثم إن كثيرًا من أهلها جَلَوْا عنها، وقد كان أبو موسى الأشعري وجه الربيع بن زياد؛ ففتح ما حول «**الشيرجان**»، وصالح أهل «**بم**» و«**الاندغار**»، فكفر أهلها ونكثوا، فافتتحها مجاشع بن مسعود، وفتح «**جيرفت**»[٥] عنوة، وصار في «**كرمان**» فَدَوَّخَهَا، وأتى «**القفص**»[٦]، وتجمَّع له بـ«**هرموز**» خَلْقٌ ممن جَلَا من

---

(١) الإصابة: (٥/ ٥٧٠).

(٢) الدمق: الثلج مع الريح. (٣) بيمند: وهي ميمند، بلد بكرمان.

(٤) الشيرجان: قصبة كرمان. وقد أسماها في الكامل: السيرجان.

(٥) جيرفت: مدينة بكرمان كبيرة، من أعيان مدن كرمان وأنزهها وأوسعها.

(٦) القفص: ورد إسمها كذلك عند ابن الأثير والبلاذري وهي «قفس»بالسين المهملة وأكثر ما يتلفظ به غير أهله بالصاد، وهو اسم أعجمي لجبل من جبال كرمان.

الأعاجم، فقاتلهم؛ فظفر بهم، وظهر عليهم، وهرب كثير من أهل كرمان، فركبوا البحر، ولحق بعضهم بمكران، وأتى بعضهم سجستان، فَأَقْطَعَتِ العرب منازلهم وأرضيهم، فعمروها وأدوا العشر فيها(١).

ذكر المدائني أن عمرو بن معديكرب تحمَّل حمالة، فأتى مجاشعًا يستعينه فيها، فقال: إن شئت أعطيتك ذلك من مالي، وإن شئت حكمتك. ثم أعطاه حُكمه، فمضى وهو يشكره(٢).

كان رضي الله عنه يُعَدُّ من أجواد العرب؛ فقد وفد عمرو بن معديكرب الزبيري على مجاشع، وكانت بين عمرو وبين سليم حروب في الجاهلية، فقدم عليه بالبصرة يسأله الصلة، فقال له: «**اذكر حاجتك**»، فقال له: «**حاجتي صلة مثلي**»، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وفرسًا من بنات الغبراء، وسيفًا جرازًا، ودرعًا حصينة، وغلامًا خبازًا، فلما خرج من عنده قال له أهل المجلس: كيف وجدت صاحبك؟ قال: «لله بنو سليم!! ما أشد في الهيجاء لقاءها، وأكرم في اللَّأْوَاءِ عطاءها، وأثبت في المكرمات بناءها!! والله يا بني سليم، لقد قاتلناكم في الجاهلية فما أجبناكم، ولقد هاجيناكم فما أفحمناكم، ولقد سألناكم فما أبخلناكم!!»(٣).

وكان ورعًا تقيًا نقيًا عاقلًا؛ لذلك أصبح سيد قيس بالبصرة في أيامه(٤)، زَوَّجَهُ الصحابي الجليل عتبة بن غزوان ابنته(٥)، وكان موضع ثقة الخلفاء والأمراء، وموضع ثقة الناس على مختلف ميولهم وأهوائهم لمزاياه الإنسانية الرفيعة.

- **القائد:**

نجح مجاشع في الحرب الخاطفة للقضاء على بعض الاضطرابات الداخلية؛

---

(١) «فتوح البلدان» للبلاذري ص ٣٨٣ - ٣٨٤.
(٢) الإصابة: ٥/ ٥٧٠.
(٣) العقد الفريد: (١/ ١٩٣).
(٤) الطبري: (٣/ ٤٠٣).
(٥) البلاذري: ص ٣٧٨.

كما حدث في الفرات، وهذا النوع من الحروب يحتاج إلى قائد سريع الحركة، سريع القرار، جريء، شجاع، مندفع.

كما نجح في حروب المشاغلة؛ حيث استطاع تجميد القوات الفارسية في الأهواز، وحال دون تعاونها مع القوة الفارسية الضاربة الأصلية المحتشدة في (نهاوند) من جهة، وحال دون عرقلتها تحشيد قوات المسلمين في منطقة (نهاوند)، وهذا النوع من الحروب يحتاج إلى قائد يتسم بالانتباه الشديد والحذر واليقظة والسهر على مراقبة تحركات القوات المعادية، كما يحتاج إلى قائد يستطيع الإفادة من طبيعة الأرض، ويختار المواقع المناسبة لقواته؛ بحيث تستطيع الحركة بسرعة للقضاء على كل حركة معادية محتملة.

كما نجح قائدًا مرءوسًا لإحدى التشكيلات التعبوية قبل معركة نهاوند وفي أثنائها، وكان أحد القادة الذين كان لهم أثر حاسم في انتصار المسلمين في معركة حاسمة هي معركة نهاوند.

كما نجح قائدًا مستقلًّا، له واجب خاص وهدف معين؛ ففتح منطقة واسعة من أرض إيران بأقرب وقت ممكن وبأقل جهود ممكنة وبأقل خسائر مادية ومعنوية.

إنه قائد ممتاز له كل مزايا القائد الممتاز؛ فكان سريع القرار صَحِيحَهُ؛ نظرًا لذكائه وتشبثه بالحصول على المعلومات الضرورية عن العدو وعن الأرض التي يقاتل عليها، وكان قوي الشخصية حديدي الإرادة محبوبًا، موضع ثقة رؤسائه ومرءوسيه على حد سواء.

ولعل لمزاياه الإنسانية السامية وماضيه الناصع المجيد أثرًا كبيرًا على ثقة الناس به وحبهم له وتقديرهم لمزاياه وتطوعهم برحابة صدر للقتال تحت رايته.

لقد كان يؤمن بالضبط، ويفرض سيطرته الكاملة على رجاله من غير إسراف ولا شطط؛ ذكر أحد الغزاة الذين كانوا معه يوم فتح «تَوَّج» فقال: «خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين (تَوَّج)، فحاصرناهم، وقاتلناهم ما شاء الله، فلما

افتتحناها، وحوينا نهبها نهبًا كثيرًا، وقتلنا قتلى عظيمة، وكان عليَّ قميص قد تَخَرَّقَ، فأخذت إبرة وسلكًا، وجعلت أخيط قميصي بها، ثم إني نظرت إلى رجل في القتلى، عليه قميص، فنزعته، فأتيت به الماء، فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه فلبسته، فلما جمعت الرثة قام مجاشع خطيبًا؛ فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، لا تغلوا؛ فإنه من غل جاء بما غل يوم القيامة، ردوا ولو المخيط!! فلما سمعت ذلك نزعت القميص فألقيته في الأخماس»[1]، وهذا يدل على أمانته المطلقة وسيطرته النافذة على رجاله.

وكان بالإضافة إلى كل ذلك قوي البنية، يتحمل المشاق بسهولة ويسر، حتى الثلج والدمق والطقس القاسي في الظروف الصعبة تحملها ونجا منها، بينما لم يتحملها رجاله فماتوا من أثرها.

لقد كان قائدًا فَذًّا بكل ما في الكلمة من مَعَانٍ.

● مجاشع في التاريخ:

يذكر التاريخ لمجاشع فتحه لواء «أردشيرخرَّة» و«سابور»، ويذكر له استعادته فتح منطقة كرمان الواسعة الغنية.

ويذكر له نجاحه الباهر في القيادة وفي الإدارة أيضًا، وهو من الأعراب الذين لم يتمرسوا على مثل هذه الأعمال بنطاق واسع.

إن مجاشعًا القائد الإداري مثال حي على أثر العقيدة الإسلامية في نفوس حتى أعراب البادية وتبديلها من حال إلى حال.

رضي الله عن القائد الفاتح، الإداري الحازم، الصحابي الجليل، مجاشع بن مسعود السلمي.

* * *

(١) الطبري: (٣/ ٢٥١).

(٣٩٧) الصحابي القائد الفاتح .. البطل الأسد .. عاصم بن عمرو التميمي رضي الله عنه فاتح «سجستان»، وقائد كتيبة الأهوال، وَمُسَمِّل الأفيال

هو البطل وأخو البطل .. الصحابي عاصم بن عمرو التميمي، أحد الشعراء الفرسان، أخو القعقاع بن عمرو.

قال أبو عمر بن عبدالبر: لا يصحُّ له عند أهل الحديث صحبة ولا رواية[١].

وقال ابن عساكر: يُقال: إن له صحبةً[٢].

والصحيح أن له صحبةً؛ فقد كانوا لا يُؤَمِّرُونَ لقيادة الجيوش؛ وخاصة في عهد أبي بكر إلا الصحابة، والثابت أن عمر رضي الله عنه لما بعث الألوية مع مَن ولى مع سهيل بن عدي، رفع لواء سجستان إلى عاصم بن عمرو التميمي.

❑ جهاده:

لله دره من فارس يصدق فيه قول القائل:

تُرِيقُ سُيُوفُهُ مُهَجَ الْأَعَادِي وَكُلُّ دَمٍ أَرَاقَتْهُ جُبَارُ[٣]

قاتل عاصم تحت لواء خالد في حروب الردة، وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وحين توجه خالد بن الوليد إلى العراق في سنة ثنتي عشرة من الهجرة النبوية فَرَّقَ خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق جُنْدَهُ ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة، فَسَرَّحَ المثنى قبله بيومين ودليله ظفر، وَسَرَّحَ عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم، وخرج خالد -

---

(١) انظر: الإصابة: (٣/ ٤٦٥) ت (٤٣٧٤).

(٢) تاريخ دمشق: (٢٥/ ٢٨٢) ت (٣٠١٩).

(٣) الجُبار: الذي لا يُطالب به.

يعني في آخرهم - ودليله رافع[١].

ثم كانت وقعة «**المذار**» في صفر من هذه السنة، ويُقال لها: «**وقعة الثَّنْي**» وهو النهر، وفيها برز نَجْم عاصم بن عمرو التميمي كبطل من الأبطال الأفذاذ.

قال ابن جرير: ويومئذٍ قال الناس: صَفَر الأصفار، فيه يُقْتَلُ كل جَبَّارٍ، على مجمع الأنهار.

وكان سببها أن «**هرمز**» كان قد كتب إلى «**أرْدَشير**» و«**شِيرَى**» بقدوم «**خالد**» نحوه من اليمامة، فبعث إليه «**كسرى**» بِمَدَدٍ مع أمير يُقال له: «**قارن بن قريانس**»، فلم يصل إلى «**هرمز**» حتى كان من أمره مع «**خالد**» ما حدث في غزوة «**ذات السلاسل**»، وَفَرَّ مَنْ فَرَّ من الفرس، فَتَلَقَّاهُمْ «**قارن**»، فالتفُّوا عليه، فَتَذَامَرُوا واتفقوا على العود إلى «**خالد**»، فساروا إلى «**المذار**»، وعلى مجنبتي «**قارن**» «**قباذ**» و«**أنوشجان**»، فلما انتهى الخبر إلى «خالد»، سار حتى نزل على «**المذار**»، فاقتتلوا قتال حنق وحفيظة، وخرج قارن يدعو إلى البراز، فبرز إليه خالد، وابتدره الشجعان من الأمراء، فقتل مَعْقِل بن الأعشى بن النبَّاش قارنًا، وقتل عدي بن حاتم قُباذ، وقتل عاصم أنوشجان، وَفَرَّتِ الفرس، وركبهم المسلمون في ظهورهم؛ فقتلوا منهم يومئذٍ ثلاثين ألفًا، وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه، وأقام خالد بالمذار، وسلَّم الأسلاب إلى من قتل، وجمع بقية الغنيمة وَخمَّسها، وبعث بالخُمُس والفتح والبشارة إلى الصدِّيق، مع سعيد بن كعب[٢].

وفي سنة (١٢ هـ) أرسله خالد إلى أكيدر بن عبدالملك، في طائفة من الفرسان، فأسره وأخذه وسلمَّه إلى خالد، فَضُرِبت عنقه، وأخذ ما كان معه جزاء غدره بالمسلمين.

وبعد وقعة الفراض التي قُتِلَ فيها من الروم مئة ألف، أقام خالد بالفراض عشرة

---

(١) البداية والنهاية: (٩/ ٥١٤ - ٥١٥).

(٢) البداية والنهاية: (٩/ ٥١٦، ٥١٧).

أيام، ثم أذن بالقفول إلى الحيرة، وكان عاصم بن عمرو على مقدمة الجيش.[١]

وقاتل عاصم تحت لواءِ أبي عبيد الثقفي، وكان قائدًا لِقَوْمِهِ بني تميم، وبعد معركة كسكر وَجَّهَهُ أبو عُبيد إلى نهر «**جور**» فهزم الفرس[٢].

وفي معركة الجسر حمى الْمُثَنَّى وعاصم ـ مع أشجع أبطال المسلمين ـ الانسحاب، حتى عقدوا جسرًا، فعبر المسلمون عليه، وعبر الْمُثَنَّى وعاصم وأصحابُهم في آثارهم؛ وبذلك أنقذ المثنى وعاصم ورجالُهما أرواح الآلاف من المسلمين.

وتحت لواءِ المثنى، وفي معركة «**البويب**» كان عاصم يقود المجرَّدة[٣]، وهو واجب لا يُعهد به إلا لفارسٍ مقدام، وَلَمَّا انهزم الفرس، كان عاصم أحد القادة الذين قاموا بالمطاردة؛ فكان أول مَن دخل حصن الفرس في «**ساباط**» هُو عاصم[٤]، وكان لِتَغَلْغُلِهِ العميق في أرض الفرس أَثَرٌ بالغٌ على تحطيم معنويات الفرس، وَرَفْعِ معنويات العرب.

- **في القادسية:**

أثناء المسير إلى القادسية كان عاصم قائدًا لِلسَّاقَةِ، وكان المسلمون في أشدٍّ الحاجة إلى الموادِّ الغذائية؛ لذلك أرسل سعد عاصمًا إلى «**مَيْسان**» في غارةٍ، غَنَم فيها بعض الماشية، فأتى بها إلى سعد، فَقَسَّمَهَا على الناس، فأخصبوا أيامًا[٥].

وقُبيل معركة القادسية جَرَتْ مفاوضات بين رجالاتِ سعد وبين كسرى يزدجرد، وفي نهاية المفاوضات غَضِبَ كسرى على المفاوضين العرب، فقال

---

(١) المصدر السابق: (٩/ ٥٣٥).
(٢) تاريخ الطبري: (٢/ ٦٣٧).
(٣) تاريخ الطبري: (٢/ ٦٤٥).
(٤) المصدر السابق: (٢/ ٦٥٣).
(٥) الطبري: (٣/ ١٤).

لرجاله: «ائتوني بِوِقْرٍ من ترابٍ، واحملوه على أشرف هؤلاء»، فتقدم عاصم ليحمل على أصحابه التراب قائلًا: «**أنا أشرفهم .. أنا سَيِّدُ هؤلاء**»، ثم حمل التراب على عنقه، وخرج إلى راحلته فركبها، وأخذ التراب معه، وقال لسعد: «أَبْشِرْ، فواللَّه لقد أعطانا اللَّه أَقَالِيدَ مُلْكِهِمْ»[1].

وكانت نتيجة تلك المفاوضات نصرًا معنويًّا للمسلمين على الفرْس؛ إذْ قال كسرى: «ما كنتُ أرى أَنَّ فِي العرب مثلَ رجال رأيتهم دخلوا عليّ!! ما أنتم بأعقلَ منهم ولا أحسنَ جوابًا منهم»[2].

وعندما نشب القتال بين المسلمين والفرس في القادسية، بَرَزَ عاصمٌ في اليوم الأول من أيامها بروزًا جعله سيدَ الموقف بدون منازِع؛ كان أحدَ ذوي الرأي والنجدة، الذين أرسلهم سعد لتحريض الناس على القتال، فقام عاصم في «**المجردة**» ورجالها أوَّلَ مَن يلاقي العدو؛ وقال يخاطبهم: «إنَّ هذه البلاد قد أحلَّ اللَّه لكم أهلَها، وأنتم تنالون منهم منذُ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم، وأنتم الأعلَوْن، واللَّه معكم إن صبرتم، وصدقتموه الضربَ والطعنَ»[3]، ووقف خطيبًا في آخرين، وقال: «يا معاشر العرب، إنكم أعيان العرب، وقد صمدتم لأعيان العَجَم، وإنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونُنَّ على دنياهم أحوطَ منكم على آخرتكم، ولا تُحدثوا اليوم أمرًا تكونون فيه شيْئًا على العرب غدًا»[4].

وكان مِمَّا قال: «اللَّه اللَّه .. اذكروا الأيامَ وما منحكم اللَّه فيها .. أَوَ لَا ترون أن الأرض وراءَكم بسابسُ قِفارٌ، ليس فيها خُمُرٌ[5] ولا وزرٌ يُعقل إليه ولا يمتنع به؟! اجعلوا الآخرة هَمَّكُمْ»، وخرج عاصم أمامَ مواقع بني تميم وهو يقول:

---

(١) الكامل: (٢/ ١٧٦).

(٢) الطبري: (٣/ ١٩).

(٣) تاريخ الطبري: (٣/ ٤٤).

(٤) تاريخ الطبري: (٣/ ٤٦).

(٥) غطاء.

قد عَلِمَتْ بيضاءُ صفراءُ اللَّببْ مِثْلُ اللُّجَيْنِ إذْ تَغشَّاهُ الذَّهَبْ
إني امرؤٌ لا مَنْ يُعَنِّيهِ السَّبَبْ مِثلي على مِثْلِكِ يُغريهِ العَتَبْ[١]

فطارد رجلًا من العجم، فهرب منه، وتبعه عاصم حتى خالط صفَّهم، فالتقى بفارسٍ معه بغلٌ، فترك الفارسُ البغلَ، واعتصم بأصحابه، فاحتمى بهم، واستاقَ عاصم البغل والرَّحْلَ، وَكَشَفَ عن الغنيمة، فإذا ذلك الرجل كان طَبَّاخَ رستم، وإذا ذلك الذي كان معه: طعامُه من الأخبصة والعسل المعقود، فَتَغَدَّى عاصم وَمَنْ معه - يومها - بغداء رستم، وزحف المسلمون، فحملتِ الفِيَلة على الميمنة والميسرة، وأحجمتْ خيول المسلمين، وبقي المشاة يقاتلون وحدهم... في ذلك الموقف العصيب أرسل سعد إلى عاصم، وقال له: يا معشرَ بني تميم، ألستم أصحاب الخيل والإبل؟! أما عندكم لهذه الفيلة مِن حيلة؟! فقال عاصم: بلى والله. ثم نادى عاصم في قومه، فَجَمَعَ أفضل مَن في بني تميم من الرماة، وآخرينَ لهم خِفَّة ومهارة في القتال، ووضع خطته على أساس مُشاغَلة ركبانِ الفيلة، ثم مهاجمتها من الخلف في غفلة منهم. قال لهم: «**يا معشر الرماة، ذبُّوا ركبانَ الفيلةِ عنهم بالنبل**». وقال: «يا معشرَ أهل الثقافة، استدبروا الفيلة فقطِّعوا وُضُنَهَا»[٢]. وخرج معهم يحميهم ويقودهم، فَشَقُّوا طريقهم نحو الأفيال التي تهاجم بني أسد، وأقبل رجاله على الفيلة، فأخذوا بأذنابها، وَقَطَّعُوا وُضُنَهَا، فارتفع عُواؤها، وألقتْ بركبانها، وكان كلما سقط صندوقٌ بمن فيه، هجم عليه المسلمون فقتلوهم، فنفسَ عن بني أسد وبجيلة، وَرَدَّتْ تميم هجوم العجم إلى مواقفهم الأولى، وكان عاصم بن عمرو في ذلك اليوم - بحقٍّ - عادية الناس وحاميهم[٣].

وفي اليوم الثالث من أيام القادسية - لما أعادت فِيَلة الفرس هجومها الكاسح،

(١) بيضاءُ: يقصد بها فرسه، ومعنى البيت: ثقتُه بنفسه أنه يدخل بدون وسيلة للقتال، كلّما عتبوا عليّ في شدتي عليك يُغريني ذلك بك.
(٢) الأحزمة.
(٣) الطبري: (٣/ ٥٠).

يقودها الفيل الأبيض ـ حمل عاصم والقعقاع، فوضعا رُمْحَيْهِمَا معًا في عيني الفيل الأبيض، فتراجع الحيوان، وطرحَ سائسه، وَدَلَّى مِشْفَرَهُ، فضربه القعقاع بالسيف فرمى بِمِشْفَرِهِ، ووقع الفيل لجنبه، فقتلا مَن معه من الفرْس[١].

فَلِلَّهِ دَرُّ عاصم مُسَمِّل عين الفيل!! أيُّ شجاعةٍ تفوق هذه الشجاعة؟!

ولما هربت الفيلة أخذ أبطال المسلمين يضيِّقون الخناق على الفرس، وكان أبرز هؤلاء الأبطال: عاصم.

وفي ليلة «**الهرير**»: هَزَمَ عاصمٌ قائد الفرس الذي كان بإزائه، وَسَحَقَ قواته[٢].

ولله دَرُّ مَن قال عن عاصم: كانت له في القادسية مقاماتٌ محمودة وبلاء حسن[٣].

- **في فتح المدائن:**

لما قَرَّرَ سعد أن يعبر النهر بقواته على ظهور الخيل سباحةً، كان لا بُدَّ له من قوةٍ كافية تعبر النهر أولًا، لاحتلال رأس جِسْرٍ في الجانب الثاني من النهر، وبذلك تحمي عبور قوات القسْم الأكبر من قوات المسلمين، فقال سعد: «**مَنْ يبدأ ويحمي لنا** «**الفِراضَ**»[٤]، حتى نلاحق به الناس؛ لكي لا يمنعوهم من الخروج؟»؛ فَتَطَوَّعَ عاصم، وتطوَّع معه ست مئة من أهل النجدة، فَأَمَّرَ سعدٌ عاصمًا عليهم، فساروا، حتى إذا بلغوا شاطئَ دجلة، قال عاصم لأصحابه: «مَنْ ينتدب معي لنكون قبل الناس دخولًا في هذا البحر، فنحمي الفراض من الجانب الآخر؟» فانتدب له ستون فارسًا، وهم الذين أُطْلِقَ عليهم اسم «**كتيبة الأهوال**»، فجعلهم نصفَيْنْ على خيولٍ إناثٍ وذكورٍ؛ ليكون أساس الْعَوْمِ على الخيل، ثم تَقَدَّمَهُمْ هو إلى حافَّة النهر، وهو

---

(١) الكامل لابن الأثير: (٢/ ١٨٥).

(٢) تاريخ الطبري: (٣/ ٦٦).

(٣) الإصابة: (٤/ ٦)، والاستيعاب: (٢/ ٧٨٤).

(٤) الفراض: جمع فرضة، وهي موضع في الجهة المقابلة مِن النهر.

يقول للذين تَرَدَّدُوا: «**أتخافون مِن هذه النطفة؟!**»، ثم تَلَا قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ثم دفع فرسه واقتحم النهر، واقتحم زملاؤه معه، فلما رآهم الفرس بعثوا فرسانهم، فاقتحموا النهر أيضًا، فلقُوا عاصمًا ورجاله في وسط النهر، فقال عاصم: «**الرماحَ الرماحَ، اشرعُوها، وتوخوا العيون**» فالتقوا، فَاطَّعَنُوا؛ فَوَلَّى الْفُرْسُ. وَلَحِقهم المسلمون؛ فقتلوا أكثرهم، ومَن نجا منهم صار أعورَ من الطعن[١].

لله دَرُّكَ يا عاصم .. هنا يقف التاريخ، وَبِأَحْرُفٍ من نور يُسَجِّلُ لعاصم معجزة عسكرية، يقف العقل والقلب معًا أمامها وقفةَ إكْبار وإعجاب.

هِمَمٌ بَلَّغَتْكُمُ رُتَبَاتٍ ... قَصُرَتْ عن بُلُوغِهَا الْأَوْهَامُ
ونفوسٌ إذا انبرتْ لقتالٍ ... نَفِدَتْ قبل أن ينفدَ الإقدامُ
وقلوبٌ مُوَطَّناتٌ على الرَّوْ ... عِ كأنَّ اقتحامَهَا استسلامُ
طال غِشيانُك الكريهةَ حتى ... قال فيك الذي أقول الحسامُ
فارسٌ يشتري بِرازَك للْـ ... ـفخرِ بقتلٍ مُعجَّلٍ لا يُلامُ

لله دَرُّكَ يا عاصم، بطولة نادرة، مِقدامٌ لا يَهمُّك أَوَقَعْتَ على الموتِ أمْ وقعَ الموتُ عليك.

فتى لا يضمُّ القلبُ هَمَّات قَلْبِهِ ... ولو ضَمَّهَا قلبٌ لمَا ضمَّه صَدْرُ

لله دَرُّكَ يا عاصم من فارس قومه .. أعلم الناس بالخيلِ .. كأنك والقعقاع وقومك وُلِدْتُمْ على صهواتها .. عَرَفُوا الخيلَ وَعَرَفَتْهُمْ.

الثابتينَ فروسةً كجُلودها ... في ظهرها والطعنُ في لَبَّاتِهَا
العارفين بِهَا كما عَرَفَتْهُمُ ... والرَّاكبين جدودهم أُمَّاتها
فكأنها نُتِجَتْ قيامًا تَحْتَهُمْ ... وكأنهمْ وُلِدُوا على صَهَواتها
إن الكرام بلا كرامٍ مِنْهُمُ ... مثلُ القلوبِ بلا سُوَيْدَاواتِهَا

---

(١) الطبري: (٣/ ١٢٠)، وابن الأثير: (٢/ ٤٤٣).

تلك النفوسُ الغالباتُ على العُلى والمجدُ يغلبها على شَهوَاتها

لله دَرُّكَ يا عاصم .. لَكَأَنَّكَ تصيح بدنيء الهمة مِنْ أمثال من يشتكي منهم عَصْرُنَا.

ولا تحسبنَّ المجدَ زِقًّا وقَينة فما المجدُ إلا السيفُ والفتكةُ البِكرُ
وتضريبُ أعناقِ الملوكِ وأنْ تُرَى لك الهَبَوَات السُّودُ والعسْكرُ المجْرُ[1]
وتَرْكُكَ في الدنيا دَوِيًّا كأنَّما تَداولَ سَمْعَ المرءِ أنْمُلُهُ العَشْرُ
وكمْ من جبالٍ جُبْتُ تشهدُ أنني الْـ ـجِبالُ وبحرٍ شاهدٍ أنني البحرُ

لله دَرُّكَ يا عاصم .. كم كان عميقًا إيمانُك بالقضاء والقدَر وَسِرِّ اللهِ فيه!!

- **في «البصرة» و«فارس»:**

سار عاصم في جيشِ عتبة بن غزوان الذي بعث به عتبة، لإنقاذ جيش العلاء بن الحضرمي، وَشَهِدَ عاصم كافَّة معارك عتبة بن غزوان في جنوبي العراق.

- **عاصم الفاتح لسجستان سنة (٢٣هـ):**

بعد فَتْح «**نهاوند**» عقد عمر ـ بنفسه ـ سبعة ألْوية لسبعةِ قادة، عَهِدَ إليهم بالانسياح في أرض فارس كلها، وكان من بين هذه الألوية السبعة لواءُ «**سجستان**»، دفعه إلى عاصم، وَأَمَّرَهُ على رأس قوةٍ من أهل البصرة، وَأَمَدَّهُ برجال من الكوفة، منهم عبدالله بن عمير؛ فعسكر عاصم قريبًا من البصرة، ثم تحرَّك إلى «**سجستان**»، وهي أعظم من خراسان، وأبعد فروجًا، يقاتل أهلها «**القندهار**» وَأُمَمًا كثيرةً[2]، وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة، كُلُّ ذلك يَدُلُّ على أهمية واجب عاصم، وأن اختياره لهذا الواجب الخطير كان دليلًا على الثقة البالغة بقيادته، وَالْتَقَى عاصم بحُماةِ «**سجستان**» على تُخُوم بلادهم، فلم يَثْبُتُوا للمسلمين، بل انسحبوا إلى «**زَرَنج**» عاصمةِ ولاية «سجستان»، فحاصرهم المسلمون فيها، وَبَثُّوا

---

(١) الهَبَوات: الغبرات، المجْر: الكثير.
(٢) تاريخ الطبري: (٣/ ٢٥٦).

كتائبهم تتغلغل في المنطقة بأسْرها، وَلَمَّا أيقن المحاصَرون أن طول الحصار لا يُجدِيهم نفعًا، طلبوا الصُّلح، على أن تكون مزارع «**سجستان**» حِمًى لا يَطَؤُهَا المسلمون[1]؛ وبذلك فُتِحَت ولايةُ «**سجستان**»، وكانت سجستان أعظم من خراسان، وأبعد فروجًا يقاتلون القندهار، والترك، وَأُمَمًا كثيرةً.

لله دَرُّكَ يا عاصم!!

ولا تزال منائر «**سجستان**» رافعةً رءوسها شامخةً، تذكر فاتحها عاصمًا التميمي الصحابي الجليل رضي الله عنه.

● عاصم وشعر الفتوحات:

كان شعر عاصم يعبر عن جهاده وفروسيته.

قال عاصم في فتح دومة:

إني لكافٍ حافِظٌ غيرُ خَاذِلٍ ... عَشِيَّةَ دَلَّاهَا وديعةُ في اليَمِّ

فخليته والقومَ لما رأيتهم ... بدومة يحشون الدماق من الغَمِّ

وأنعمت نُعْمَى فيهمُ لعشيرتي ... حِفَاظًا على ما قد يريني بني زُهْم[2][3]

وقال عاصم بن عمرو ـ وقد ذكر ورودهم السَّواد، ومقامهم به، وعدد الأيام التي قبلها ـ:

جلبنا الخيلَ والإبلَ الْمَهَارَى ... إلى الأعراض أعراضِ السَّوَادِ

ولمْ يُرَ مَثْلُنَا صبرًا ومجدًا ... ولم يُرَ مثلها سحاب هادِ

شَحَنَّا جانب الْمِلطاط مِنَّا ... بجمع لا يزول عن البعَادِ

لزمنا جانب المِلْطاطِ حتى ... رأينا الزرع يقمع للحصادِ

لنأتي معشرًا ألبوا علينا ... إلى الأنبار أنبارِ العِبَاد

---

(١) تاريخ الطبري: (٣/ ٢٥٦)، وابن الأثير: (٢/ ٤٤٣).

(٢) رهم: بطن من بكر بن وائل.

(٣) تاريخ دمشق: (٢٥/ ٢٨٢).

لنأتي معشرًا قُصُفًا أقاموا إلى ركن يعضل بالوراد[(١)]

- وقال يصف فتح الحيرة:

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ورَجلا فوق أثباج الركاب

حضرنا في نواحيها قصورًا مشرفة كأضراس الكلاب

وقال - يصف مطاردته للفرس بعد معركة (النمارق)[(٢)] -:

لعمري وما عمري عليَّ بهين لقد صبَّحت بالخزي أهل النمارق

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم يجوسونهم ما بين درتا وبارق[(٣)]

قتلناهم ما بين مرج مسلح وبين الهوافي من طريق البذارف

وَقَدَّمَ الدهاقين[(٤)] إلى أبي عبيد آنيةً فيها أطعمة فارسية فلم يأكل منه شيئًا حتى علم أنهم قَرَّبُوا مثله لأصحابه؛ فقال عاصم[(٥)]:

صحنا بالبقايس رهط كسرى صبوحًا[(٦)] ليس من خمر السواد

صبحناهم بكل فتى كمي وأجرد سابح من خيل عاد

فهم يفخرون بأطعمتهم الشهية، والعربي يفخر بالأبطال من الفرسان.

وفي اليوم الأول من أيام القادسية خرج عاصم مرتجزًا بقوله[(٧)]:

قد علمت بيضاء صفراء اللبب مثل اللجين إذ تَغشَّاهُ الذهب

إني امرؤ لا من يُعَنِّيهِ السبب مثلي على مثلك يغريه العتب

وقال - يصف كيف أجاز المسلمون أمان عبد من عبيدهم لأهل

---

(١) تاريخ دمشق: (٢٥/ ٢٨٣).

(٢) النمارق: موضع قريب من الكوفة، وانظر هذه الأبيات في الطبري: (٢/ ٦٣٦).

(٣) درتا وبارق: موضعان قريبان من النمارق القريبة من الكوفة.

(٤) الهاقين: جمع دهقان، وهو زعيم فلاحي العجم وزعيم الأقليم.

(٥) الطبري: (٢/ ٦٣٩).

(٦) الصبوح: هو الشرب بالغداة.

(٧) الطبري: (٣/ ٤٨).

(جنديسابور)[1] بهذه الأبيات[2] -:

لعمري لقد كانت قرابة (مكنف) قرابة صدق ليس فيها تقاطع
أجارهم من بعد ذلٍّ وقلة وخوف شديد والبلاد بلاقع
فجاز جوار العبد بعد اختلافنا وردَّ أمورًا كان فيها تنازع
إلى الركن والوالي المصيب حكومة فقال بحق ليس فيه تخالع

هذه نماذج من شعره تعبر تعبيرًا صادقًا عن هواه العميق بالحرب وَخُلُقِ الفروسية؛ فهو كأخيه القعقاع شاعر الفرسان أو فارس الشعراء!!.

● **القائد:**

كان عاصم شجاعًا إلى حد البطولة النادرة، مِقدامًا لا يهمه أَوَ قَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ، وكان موضع ثقة قواته ورؤسائه، كما كان محبوبًا منهم جميعًا، وكان يبادلهم ثقة بثقة وحبًّا بحب، وكان سريع القرار صَائِبَهُ، يتحمل المسئولية كاملة، له نفسية لا تتبدل، وشخصية نافذة قوية، وماض مشرف مجيد.

وكان يعتمد على سرعة الحركة في معاركه، ولا يقدم على عمل عسكري إلا بموجب خطة واضحة مدروسة، وكان يطبق مبدأ (المباغتة) بشكل واضح، كما كان يعمل دائمًا على رفع معنويات رجاله بمثاله الشخصي وبأقواله وخطبه، وكان يحرص على تطبيق مبدإ (التعرض) في حروبه؛ فكانت معاركه كلها (تعرضية)؛ لذلك فهو مثال للقائد التعرضي الذي لم يدافع أبدًا.

لقد كان النصر يسير في ركابه، وانتصاراته تعود - فِيمَا أَرَى - إلى خمسة عوامل: قابليته الممتازة في وضع الخطط المناسبة، وشجاعته الشخصية الفائقة، وسرعة حركته في أثناء المعركة، وتطبيقه مبدأ (المباغتة)، وتشبُّعه بروح التعرض.

---

(١) جنديسابور: مدينة بخوزستان. راجع التفاصيل في معجم البلدان : (٣/ ١٤٩).
(٢) معجم البلدان: (٣/ ١٥٠).

● **عاصم في التاريخ:**

يذكر التاريخ لعاصم موقفه الرائع في القادسية، واندفاعه الصاعق في عبور دجلة لفتح المدائن، ويذكر له فتحه لولاية سجستان.

لقد كان لموقفه الرائع في القادسية أثر حاسم في انتصار المسلمين على الفرس في هذه المعركة الحاسمة، وربما يذكر رجال قلائل من أصحاب الأيام حين يذكر عاصمًا في أيام القادسية عدا اليوم الأول من أيام القادسية؛ فقد استأثر عاصم بالفضل الأول في تحطيم هجوم الفيلة الكاسح، ذلك الهجوم الذي كان متوقعًا منه أن يحطم صفوف المسلمين.

أما اندفاعه في عبور نهر دجلة إلى المدائن على رأس كتيبة الأهوال، فأمره عجب كله؛ ولست أعرف أحدًا من القادة يشاركه في هذا الفضل العظيم الذي كان من نتائجه فتح المدائن عاصمة كسرى[١].

❊ ❊ ❊

(١) قادة فتح بلاد فارس ص ٢٨٩.

(٣٩٨) الصحابي القائد الفاتح
الحكم بن عمير (أو عمرو) التغلبي «فاتح مُكْران»[1]

هو الصحابي: الحكم بن عمير التغلبي؛ كما سَمَّاهُ ابن جرير الطبري، أو الحكم بن عمرو التغلبي؛ كما سَمَّاهُ ابن حجر، لم يرد ذكره في الغزوات التي غزاها النبي ﷺ؛ مما يدل على إسلامه متأخرًا، وهو إن لم يَنَلْ شرف الجهاد مع الرسول ﷺ فقد نال شرف الصحبة لرسول اللَّه ﷺ، وَكَحَّلَ ناظريه برؤيته ﷺ[2].

❑ **جهاده:**

ما كان جهاد بطلنا وفروسيته تضيع عند عمر رضي الله عنه الذي يعرف مقادير الأبطال والشجعان الذين أَبْلَوْا أحسن البلاء في الفتوحات؛ ولذلك بعث مع سهيل بن عدي سنة (١٧ هـ) بلواء مكران إلى الحكم بن عمير التغلبي، وأمده بشهاب بن المخارق في جموع[3].

وبعد أن جَهَّزَ الحكم قواته قصد في سنة (٢٣ هـ) **«مُكْرَان»** حتى انتهى إليها، ولحق به شهاب بن المخارق، وسهيل بن عدي، وعبداللَّه بن عبداللَّه بن عتبان؛ فانتهوا إلى دوين النهر وأهل مكران على شاطئه، فاستمد ملكهم ملكَ السندِ؛ فَأَمَدَّهُ بجيش كثيف، فالتقوا مع المسلمين؛ فانهزموا وَقُتِلَ منهم في المعركة مقتلة عظيمة، وأتبعهم المسلمون يقتلونهم أَيَّامًا، حتى انتهوا إلى النهر، ورجع المسلمون

---

(١) مُكْران: ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى: وهي بين كرمان في غربها وسجستان في شمالها والبحر في جنوبها والهند في شرقيها.وهي ناحية واسعة يغلب عليها المفاوز والقحط والضيق ـ انظر معجم البلدان (٨/ ١٣٠).

(٢) انظر: الإصابة: (٢/ ٩٤) ت (١٧٩١). والطبري: (٣/ ١٨٩)/ و«الكامل»: لابن الأثير (٢/ ٤٤٣)، (٢/ ٣٩٥) وفي الإصابة «الحكم بن عمرو الثعلبي» وانظر أسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص ٢٨٤.

(٣) الكامل: (٢/ ٣٩٥).

إلى مُكْران، فأقاموا بها، وكتب الحكم إلى عمر بالفتح، وبعث إليه بالأخماس مع صحار العبدي، واستأمره في الفيلة، فلما قدم المدينة سأل عمر عن مكران ـ وكان لا يأتيه أحد إلا سأل عن الوجه الذي يجيء منه ـ، فقال: يا أمير المؤمنين، هي أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وثمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير فيها قليل، والقليل فيها ضائع، وما وراءها شرٌّ منها!!. فقال: أَسَجَّاعٌ أَنْتَ أَمْ مُخْبِرٌ؟! لا، واللَّه لا يغزوها جيش لي أبدًا. وكتب إلى سهيل والحكم بن عمرو: أن لا يجوزنَّ مكران أحد من جنودكما، واقتصرا على ما دون النهر. وأمرهما ببيع الفيلة التي غنمها المسلمون ببلاد الإسلام، وقسم أثمانها على الغانمين[1].

قال ابن حجر في «الإصابة» عن بطلنا: إنه الذي حاصر مُكران، وهزم مليكها، وبعث بالفتح إلى عمر.

قال الحكم ـ يصف فتح «**مكران**» ـ:

لقد شبع الأرامل غير فخرٍ ... بفيئي جاءهم من مُكرانِ
أتاهم بعد مسغبةٍ وجهدٍ ... وقد صفر الشتاء من الدخان
فإني لا يذمُّ الجيشُ فعلي ... ولا سيفي يُذَمُّ ولا سناني
غداة أُرَفِّعُ الأوباش رفعًا ... إلى السند العريضة والمدان
ومهران لنا فيما أردنا ... مطيع غير مسترخي الهوان[2]

● **القائد:**

يُعْتَبَرُ الحكم مثالًا للقائد المكيث الذي لا يخوض معركةً مَا قبل أن يُعِدَّ كافة متطلباتها المادية والمعنوية، فيخوضها بعد ذلك واثقًا من النصر الأكيد.

إن من القادة من يرى أن السرعة من عوامل نجاحه في القتال، وهؤلاء يرون أن

---

(١) الكامل: (٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤).
(٢) معجم البلدان: (٨/ ١٣٠).

الوقت بجانب العدو دائمًا؛ لأنه يتيح له إنجاز استحضاراته العسكرية؛ مما يؤدي إلى صعوبة القضاء عليه.

ومن القادة من يرى أن السرعة غير مأمونة العواقب، وأن سَبْقَ النَّظَرِ عن تفاصيل المعركة لا بُدَّ له من وقت كاف لحساب كل ما يحتمل وقوعه في القتال من أحداث، ومن هؤلاء القادة: الحكم التغلبي.

والحق أن الحكم كان صائبًا في التريث قبل الإقدام؛ لأنه كان حريصًا على أرواح رجاله حِرْصًا لا مزيد عليه، ولأن المنطقة التي يُقَاتِلُ بها حصينة بعيدة عن قواعد المسلمين الأمامية، وما دامت قوات الفرس قد تحصنت في منطقة حصينة تتيسَّر فيها موانع طبيعية صالحة للدفاع، فلا بد من تحشيد قوات كافية للتغلب على الفرس بأقل خسائر ممكنة في الأرواح.

لقد بذل الحكم قصارى جهده لإحراز النصر في المعركة الحاسمة الأولى التي تَوَخَّى بها القضاء على قوات العدو ماديًّا ومعنويًّا، فلما نجح في معركته الحاسمة الأولى، وَكَبَّدَ العدو خسائر كبيرة، سارع في مطاردته لفلوله؛ فقضى عليها بسرعة وسهولة ويُسْرٍ، وأنجز فتح كل منطقة «مكران» الواسعة بعد وقتٍ جِدٍّ قليلٍ من انتصاره في المعركة الأولى».

لذلك يمكن اعتبار استعدادات الحكم لخوض المعركة الحاسمة وإحراز النصر على عدوه مثاليةً، كما يمكن اعتبار مطاردته السريعة التي جرت بِتَمَاسٍّ شديدٍ بفلول العدو مثاليةً أيضًا.

لقد كان الحكم يتمتع بمزية سَبْقِ النَّظَرِ، وله شخصية قوية نافذة.

إن دراسة الخرائط الحديثة تعطينا فكرة واضحة عن سعة ولاية «**مكران**» وطبيعة أرضها الصعبة؛ مما يزيد من إعجابنا بانتصار الحكم بقواته القليلة - بالنسبة إلى سعة المنطقة ووعورتها - على القوات الفارسية التي تدافع عن بلادها، وتعمل في أرضٍ تعرفها حق المعرفة؛ مما يجعلها صالحة للدفاع لتيسر العوارض الطبيعية فيها!!

كل ذلك يدل على مزايا قيادة الحكم النادرة وقابليته الممتازة على قيادة الرجال.

لقد أصبحت **«مكران»** فيما بعد قاعدة المسلمين الأمامية لانطلاقهم لفتح الهند؛ فكان فتح «مكران» من عوامل نجاح المسلمين في فتح **«النهد»**.

رضي اللّه عن الصحابي الجليل، القائد الفاتح، الحكم بن عُمير التغلبي[1].

* * *

(١) قادة فتح بلاد الفرس ص ٢٩٥ - ٢٩٧.